نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة

محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي المتوفى : 1111هـ

الباب الثامن

الباب الثامن

في تحائف أذكياء المغرب

العذر في تأخير هذا الباب واضح، كما أن فضل من ذكرته فيه لفضل غيرهم فاضح.
فإن شمس الأدب عندهم إيداعها، وإن كان من نور أسرتهم ظهورها وابتداعها ولهذا قيل:
الغرب خير وعند ساكنه ... أمانة تقتضي تقدمه
فالشرق من نيريه عندهم ... يودع ديناره ودرهمه
وقد ذكرت من أهله طائفة ملأوا بمحاسنهم ما بين المغرب والمشرق، ونوروا ما بين البسيطة والسما بنورهم المشرق.
فمنهم:

علي بن الأوجلي

هو من قلب سلطنة أوجلة الصميم، وراعي عرارها الفائح نشره والشميم.
صاحب القول المعجب المغرب، الذي لم يضم مثله المشرق والمغرب.
كان نازعه الملك ابن عم له تغلب عليه، و كاد بقوة ماله وأخياله يسوق الحتف إليه.
فخرج من دار ملكه تتراماه البلاد ترامي الكرة بالصولجان، وتزهو به زهو الأيام بالنوروز والمهرجان.
يفاوح زهر الربى مسراه، وينافح نسيم الصبا في مجراه.
فإذا حل بناد استقبلته الهشاشة، وفرش له بين الذماء والحشاشة.
فمن أوجلة الغرب إلى مصر إلى دمشق إلى حلب، وبها حط رحله على وفق ما اقترح وطلب.
قال العرضي: فكتب إليه من كلمة طائية:
بروق أطالت من سلاسلها السقطا ... فها مجمر النوار قد ضوع القسطا
وفرخ في كانون قلبي سمندل اش ... تياقي لجيران أناخوا بذي الأرطا
سقى البارق النجدي لا بارق الحمىوحيي الحيا من أدمعي الدرة الوسطى
مرابع للغزلان كانت فأصبحت ... مراتعها ترعى بها الأثل و الخمطا
يذودون عن رئم هناك مشرد ... ومن عادة الآرام تعطو ولا تعطى
ولم أنس إذ عاطيته أكؤس الهوى ... وبات يعاطيني رضابا بل اسفنطا
وقام بلال الخال في صبح جيده ... يراعي ثريا قرطوه بها قرطا
بجيد مسحت الدمع فهو ابن مقلة ... تناول طومارا وأعجمه نقطا
لقد طرز الريحان صفحة خده ... طرازا على ياقوت وجنته اختطا
ثلاث غدت أمضى شبا من شبا القضا ... وأجرى من الأقدار في الحكم بل أسطى
لواحظ من أهوى وسيف ابن طالب ... وأقلام مولانا علي إذا خطا
قد انعقدت للكاتبين أنامل ... على أن باديه بباديه ذي الأنطا
ومن رام في دنياه شق عصاهم ... فذاك الذي رام القتادة والخرطا
ربيب سرير الملك درة تاجه ... وموسى زمان ناصر يضعف القبطا
سقى من يراع العلم كل قريحة ... كما أن موسى من عصاه سقى السبطا
لقد أطلعته الغرب شمس معارف ... بأعتابه رحل الأفاضل قد حطا
أمولاي فكري مثل جسمي صائم ... عن الشعر مذ ربع الحبيب به شطا
ولكنه لما استهل هلالكم ... و كان له عيدا سلا الربع و الشحطا
وهاتيك أقلامي بدت بمديحكم ... وقد يظهر التنوير في الشمع إن قطا
ورفعة ذكراكم بشعري توثبت ... فعفوا لقد يكسى شباب الفتى وخطا
فأجاب، وتأخر الجواب إلى العيد، فضمنه تهنئة به، فقال:
غدا لفرات الريق عارضه شطا ... فباهى مقامات الحريري وإسفنطا
وأنبت في نار الخدود شقائقا ... وكيف ترى في النار نبتا ولو خمطا
وراعى بلحظ الخد بانا وقال لا ... تقولوا مراعاة النظير من الإبطا
وسالفه مع ظلمه بجهالة ... يقول صفوني بالشعور و ما أخطا
غزال ولكن كيف ينشط طرفه ... لقتلي وهو الفاتر الكاسل الأبطا
على خده خال به عرف الهوى ... ومن نقط شكل الحرف قد تعرف الخطا

وفي ثغره الأحلى وفي صلده أرى ... مداما مصفى كالزلالة والحوطا
الحوط:لوح من الذهب مكتوب تضعه المرأة على صدرها.
بروحي فتى أفنى بقتلي رهطه ... ومع قولهم بالقتل أكرمهم رهطا
قضوا بتلافي في شريعة قده ... وكيف وفي الشهباء أقضى الورى الأحطا
هو السيد العرضي أعني محمدا ... إمام الهدى بل والندى العالم الأعطا
أخو العلم بالمعقول أما ذكاؤه ... فباهى به اليونان والروم والقبطا
وذو الحفظ للمنقول أما نصوصه ... ففاق بها من حصل الفقه والحلطا
الحلط: كتاب في مذهب الإمام مالك، رحمه الله تعالى.
به الجهل ولى والعلوم بحلقه ... كأمواج بحر قد تكنفت الشطا
بحيث ترى جوز العلوم ونسرها ... تلاها كخود إثرها جرت المرطا
وكان كثيرا ما يلهج بذكر أوجلة منتجع شبابه، ومرتبع أحبابه.
فأنشدني هذين البيتين،فأعجبتني رقتهما، ولم أدر هل هما له أم لا فخمستهما وهما والتخميس:
بشمعة كافور من الجيد قد أضت ... ليال بريعان الشباب قد انقضت
فلو قلت ما يبكيك قلت كما قضت ... ليال وأيام تقضت أو انقضت
فسالت لنا من ذكرهن دموع
رعى الله عيشا قد قطعناه غرة ... بدار يناغي طيرها القلب سحرة
أدر خمرة وأنشد لتطفيء جمرة ... أ لا هل لنا عود من الدهر مرة
وهل إلى وصل البلاد رجوع
ومن خرائد مدحه، وفرائد سبحه، ما امتدح به حضرة الأخ العزيز،يعني أبا الوفا
تراءت لعيني وهي بالشعر تحجب ... فخلت شعاع الشمس يعلوه كوكب
مهاة رعت حب القلوب فما لها ... تروع نفارا وهي للإنس تنسب
وكلمت الأحشا بموسى لحاظها ... فأصبحت منها خائفا أترقب
وعذب قلبي دلها بنعيمها ... ولم أدر أني بالنعيم أعذب
وأبدلت دمع العين في الخد جوهرا ... أ لم تره بالهدب قد صار يثقب
وبي ساحر الأجفان أما قوامه ... فلدن وأما ثغره فهو كوكب
أعد نظرا في خده وعذاره ... ترى عسجدا باللازورد يكتب
فوجنته والثغر نار وكوكب ... وطلعته والشعر صبح ومغرب
كأن بها النسرين أقداح فضة ... بتبر المحيا للمحيا تذهب
كأن بها الريحان نقش أنامل ... تطرف بالمسك الذكي وتخضب
كأن بها سيب المياه مسائل ... يقررها العرضي والناس تكتب
إمام وأعنيه المسمى أبا الوفا ... على أنه في العلم بحر يشعب
فقيه أصولي منطقي متكلم ... بياني عروضي وصوفي معرب
له الباع في التفسير ضاهى ابن عادل ... وحيث روى الأخبار تدعوه يحصب
إذا انساب في تقرير نص ترادفت ... له فكر كالوحي أو هي أقرب
أقام صلاة العلم في مسجد الذكا ... ومنبره الإدراك والفهم يخطب
فصان عن الجهلين كل ثنية ... وكيف يفوه الجهل والعلم يطلب
وما كل من ألقى النصوص محقق ... ولا من نضا سيف الدراية يضرب
جليل له وجه تهلل بالحيا ... كما انهل من كفيه بالجود صيب
وغيث له في كل أفق مواهب ... تكاد بها الأرض الجديبة تخصب
أيا عالم الشهباء يا كامل الورى ... كما أنت من كل الكمال مركب
لك الله يا مولاي من عالم غدا ... يلين ويسطو فهو يرجى ويرهب
توفرت جودا واستفضت مكارما ... فأيقنت أن الشهب بالغيث تسكب
وحركت من اسم المكارم ساكنا ... لأنك بالأفعال للفضل تنصب
سجية آباء كرام ورثتها ... وفقه به للشافعية مذهب
ونحو به للفارسي ترجل ... ونطق به للمنطقي تأدب
فدم كامل العليا فسعدك مشرق ... وعزمك منصور وجدك أغلب

وشانيك مفقود وأنت مؤيد ... وبابك مقصود وأنت محبب
ومما امتدح به واسطة قلادة العلم الشريف، المرحوم الشهابي أحمد بن النقيب، طاب ثراه:
قم زوج ابن غمام بنت زرجون ... واجعل شهودك من ورد ونسرين
فخاطب الطير نادى في منابره ... حي على الراح ما بين الرياحين
والريح جرت على الأغصان إذ نصبت ... ذيلا فأعرب عن مد وعن لين
والروض زف عروس الزهر في حلل ... قد أبرزت بين تدبيج وتلوين
والطل يكتب في طرس الرياض فهل ... أبصرت خطا بلا حدس وتخمين
فاستجل بكر مدام زانها حبب ... كلؤلؤ من نفيس الدر مكنون
مع غادة لو بدا كافور مبسمها ... للشمس لاحتجبت في عنبر الجون
قد رف ماء الحيا في نار وجنتها ... كالورد رش عليه ماء نسرين
تظلمت مقلتاها وهي ظالمة ... فطرفها فاتن في شكل مفتون
بي غادة قدها كالزهر في ترف ... والبدر في شرف والغصن في لين
سنت لحاظا رأت قتلى فريضتها ... فمت منها بمفروض ومسنون
أرجو لقاها وأخشى صدها أبدا ... فلم أزل بين مسرور ومحزون
يا نسمة عللت قلبي بصحتها ... إذ حدثت عن صبا جيران جيرون
ما للذي سلبت عقلي محاسنه ... أضحى يحذرني من حيث يغريني
وما لبدر سناء فاق واضحه ... أضلني بالذي قد كان يهديني
هب أنكم قد نصحتم كيف أقبله ... والبعد يقتلني والقرب يحييني
منها في المديح:
شهاب أفق سماء السحب تحسبه ... شهبا تكف به أيدي الشياطين
ومما امتدح به المنلا المدعو: بحاج حسين البغدادي،وهو رجل ذو ذوق:
نبه الوسنان تغريد الحمام ... في ذرى الدوح وقد فاح الخزام
ويد الصبح من الأفق بدت ... بمياه الضوء في شكل الظلام
وروى في الأيك أخبار الهوى ... بلبل عن عندليب عن إمام
فيه أن العندليب هو البلبل، ولا معنى لرواية الشخص عن نفسه، إلا أن يحمل على أشخاص نوع واحد، روى بعضها عن بعض، كما هو واقع في أشخاص النوع الإنساني.
ولوى الظل على خد الضحى ... سالفا حام على الأصداغ سام
وانتضى في الجو سيف البرق من ... غمده المرقوم من ودق الغمام
فتساير مع نجوم الصبح في ... فلك اللهو وخذ واعط المدام
لهفت فهي هواء وصفت ... فهي ماء أشعلت فهي ضرام
قابل الساقي بها وجنته ... ليرينا أنها منها تقام
يقرب منه قول يزيد:
دعوت بماء في إناء فجاءني ... غلام بها صرفا فأوسعته زجرا
فقال: هي الماء القراح وإنما ... تجلى له خدي فأوهمك الخمرا
وأحسن منه قول ديك الجن:
مشعشع من كف ظبي كأنما ... تناولها من خده فأدارها
عجبا فيها قرأنا عبسا ... في احتساها وهي منا في ابتسام
من قول الناشيء:
تأتيك ضاحكة وأنت عبوس
وما أحسن ما ختم القصيدة بقوله في الدعاء للممدوح:
وابق ما الروض تلت أزهاره ... سورة الفتح على سمع الكمام
قوله: " ولوى الظل " البيت من قول ابن النبيه:
تبسم ثغر الروض عن شنب القطر ... ودب عذار الظل في وجنة النهر
ومما امتدح به بعض البغداديين الأعيان:
ألسهد عيني في الهوى إغفاء ... أم هل لنار جوانحي إطفاء

يا متلفي بسهام مقلته التي ... فيها الدواء ومن دواها الداء
أنت الطبيب وأنت دائي فاشف ما ... عملت بقلبي المقلة الوطفاء
أمعنفي في حب بدر مشرق ... قسما لأنت العاذل العواء
ومن الجهالة أن تعنف من يرى ... أن الملام على الهوى إغراء
بي من إذا ما لاح فالبدر انجلى ... وإذا مشى فالصعدة السمراء
إن ضل قلب الصب فيه بشعره ... فلقد هوته الطلعة الغراء
يسعى براح في زجاجته التي ... جمد النضار بها وقام الماء
أصل المصراع الأخير للمتنبي، إلا أنه غير بعض كلماته، وتصرف فيه تصرفا حسنا على سبيل التضمين، وسلخه عن معناه الأصلي.
وبيت المتنبي هو قوله:
وكذا الكريم إذا أقام ببلدة ... سال النضار بها وقام الماء
راح يطوف بها الحسان لذاك قد ... صلت لقبلة دنها الندماء
رقت ورق الكأس فامتزجا فلم ... تعلم وحقك أيها الصهباء
أصله قول الصاحب ابن عباد:
رق الزجاج ورقت الخمر ... وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر
ومنها في المديح:
قد قلت فيك بديع شعر فاق أن ... ترقى إلى حجراته الشعراء
ولم يزل صاحب الترجمة مقيما بحلب نحو العام،يمدح عيون أعيانها، ويستدر برقة شعره رقيق لبانها.
حتى رمته قسي الأقدار، إلى أرض العراق وجوب هاتيك القفار.
ونزل منها بدار السلام بغداد، وتزود من مقامات الأولياء هناك أطيب زاد.
ثم منها إلى البصرة، وورد من أميرها ابن أفراسياب أكرم حضرة.
فلقيه بمديح غب مديح، وروى عنه خبر واصل بن عطاء خبرا مسلسلا صحيح.
هذا ويد التأميل تعرك آذان عزمته، وتوقظ نار وقد في ليل الاغتراب من همته.
والمرء ما أرضى أمانيه ... ينقاد من لغب إلى جهد
وتقول له بلسان الحال: أحدث سفرا تحدث رزقا، ولم يجن ثمرة المأمول من لم يجعل ثنيات الفيافي لها درجات ومرقى.
فطار طيران الرخ إلى رقعة خراسان، فحوم بالنزول على أصفهان، التي هي حضرة شاه العجم الآن.
فما أحقه بقول الشاعر:
خليفة الخضر من يربع على وطن ... يوما فإن ظهور العيس أوطاني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت ... حتى تبلغني أقصى خراسان
وقد شرح ما عاناه من التمرغ في عطن الاغتراب، وتقسم حاله بين الاكتئاب والاضطراب، في قافية قافية، حيث يقول:
لا وبرد اللمى وحر الفراق ... ما لقبي من لسعة البين راقي
كيف يخفى حليف بين وشوق ... صير الجفن دائم الإغراق
يا زمانا مع اسمنا في خلاف ... ومع اسم نقيضه في وفاق
أراد أن اسمه علي، ونقيض اسمه دني، والدهر شأنه عناد الأعالي وود الأداني، أو أن الدهر بخس حق أول من تسمى بهذا الاسم، أعني الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وأسعد أضداده من معاوية وغيره، فصفت لهم الخلافة، ودرت لهم أخلاف الإمامة، فيكون مشربا تشيعيا،كما قال الملك الأفضل نورالدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف،لما ولي دمشق بعد أبيه، فلم تطل مدته، ثم حضر إليه عمه الملك العادل أبو بكر، وأخوه الملك العزيز عثمان، فأخرجاه من ملكه بدمشق إلى صرخد، ثم جهزاه إلى سميساط، فكتب إلى الإمام الناصر ببغداد:
مولاي إن أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد منعا بالعضب حق علي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الأول
قوله: " ومع اسم " بالتنوين، و " نقيضه " بدل منه، بناء على جواز إبدال المعرفة من النكرة، كما في قوله تعالى " ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده " إلا أن جواز الإبدال المذكور مشروط بتخصيص النكرة بمخصص ما كما في الآية المذكورة.
كم أناديك ضربي ما دهاني ... كم أناجيك شفني ما ألاقي
كتم الضيم منطقي فوشى بي ... ناطق الدمع صامت الآماق

يا فؤادي عن الأحبة صبرا ... قد قضى البين بيننا بالفراق
لا تكن عندما تصاب جزوعا ... ليس بعد الفراق إلا التلاقي
رب إني من الزمان لشاك ... مسني ضيمه وإنك واقي
فأجرني من التغرب إني ... كل يوم لأجله في اشتياق
كم قطعنا بها ليالي وصل ... في استلام ولذة واعتناق
كم سحبنا بها وكم قد ركضنا ... من رماح ومن خيول عتاق
ليت شعري فهل لصبح اجتماع ... بعد ليل الفراق من إشراق
كم تبدت فيه نجوم صحاب ... في سماء محاسن الإغساق
ما أحسن بدو نجوم الأصحاب، في ليل الفراق والاغتراب.
فلقي المذكور صاحب الترجمة المجتهد في تلك الدولة بقصائد، بل قلائد، فعرف الشاه مكانته من الفضل والأدب، وأنه من بيت سلطنة وملك، إلا أن الدهر قعد به عن مناه، ودعاه داعي الاغتراب فلباه.
فأجازه الشاه مقدارا من النوال، يبلغ بدرة من المال.
كما قال أبو تمام:
بدر أطاعت فيك بادرة الهوى ... وشموس فضل آذنت بغروب

محمد المرابط بن محمد الدلائي عرف بالصغير

هو من بيت السلطنة في الدلا، وفي الأدب بحر لا تكدره الدلا.
عهده من زماننا قريب، وخبره في الغرب عجيب غريب.
وذلك لكائنة حصلت عليه وعلى أهل بيته من ملك الغرب، أضحوا منها بعد عزهم الأنفس أذلاء الهوان والكرب.
فخوى كوكبهم، وهوى مرقبهم.
وتفرقوا أيادي سبا، وفرقوا من الأسنة والظبا.
بعدما انتجعوا انتجاع الأنوا، واستطعموا في المحل واللأوا.
وأمهم الناس من كل مكان سحيق، وخامرت النفوس مكارمهم مخامرة الرحيق.
وكان المرابط هذا يزيد عليهم في الفضل الباهر، زيادة القمر على النجوم الزواهر.
صارم عزمه لا يفل غربه، وكوكب مجده لا يخاف غربه.
ومعاليه رسومها واضحة، وفضائله للشموس فاضحة.
صنف وألف، وأحرز المعالي وما تكلف.
وآثاره في عقود اللآلئ درر، وأشعاره في جبهة المعالي غرر.
فمن شعره قوله في الغزل:
شجيت إذ ومضت للصب عيناك ... وكدت أقضي هوى من حسن مرآك
يا من ثملت براح من لواحظها ... لله ما فعلت فينا حمياك
أفردت حسنا كما أفردت فيك صفا ... ود وحاشاك من شرك وإشراك
تكاملت فيك أوصاف جللت بها ... عندي فسبحان من بالحسن حلاك
يا أخت ظبي النقا دلا وفرط بها ... ردي ودائع قد أودعتها فاك
ولا تجوري فأنت اليوم مالكة ... ذوي الصبابات فاستبقي رعاياك

محمد الفاسي المعروف ببديع الزمان

بقية حملة الأقلام، الذين فتنوا بسحر الكلام.
له طبع من الضجر مبرا، وله شعر كأنه الروض المطرى.
فلفظه يطرب، ومعناه يعرب فيغرب، وبلاغته تدل على أنه آية لأن شمس كمالها طلعت من المغرب.
فهو مقدم في أدباء فاس، تقدم النص على القياس.
تردد على النبهاء تردد الكاس في الروض العاطر، ودخل الروم فجرى من أهواهم مجرى الماء في الغصن المتروي بالغمام الماطر.
فصار شعره سمر النادي، وتعلة الحادي، ومثل الحاضر والبادي.
ولما رجع استأثر الله به، ودعاه لما عنده من كرامته وتقربه.
فعلى ما تضمنه من تراب فاس، سلام الله تعالى بعدد الأنفاس.

وقد أثبت له ما يستعير فضل إشراقه الصباح، وترتاح للطف صنعته الأرواح في الأشباح.
فمن ذلك ما كتبه إلى أبي المعالي درويش محمد الطالوي، وقد اجتمعا في الروم:
لدمعي بعد بينهم انهمال ... فكم عن حفظ عهد الصب مالوا
وحلوا القلب دارا واستحلوا ... دمي عمدا وعن ودي استحالوا
وقال القلب مع صبري وعقلي ... وأفراحي لنا عنك ارتحال
وحان الحين حين البان بانت ... مطاياهم وأعلاها الرحال
وأبقت لي النوى جسما كأني ... لفرط السقم حال أو محال
أفديهم بأموالي ونفسي ... وهل لي في الهوى نفس ومال
أأسلوهم مدى الدنيا سلوهم ... ولو أصلوا فؤادي ثم صالوا
شعاري حبهم والمدح ديني ... لمولى الفضل درويش بن طالوا
هو النحرير بحر العلم مهما ... أهم الأمر أو أعيى السؤال
ذكي ألمعي لوذعي ... سري ماله حقا مثال
له علم حنيفي محيط ... وحلم أحنفي واحتمال
وفكر عند ذي التحقيق ذكر ... بشكر الله مغرى لا يزال
حوى كل المعاني والمعالي ... بعقل ما له عنه انعقال
له نظم كدر في نحور ال ... غواني دونه السحر الحلال
فريد في المعالي دون ند ... فدع ما قيل أو ما قد يقال
فيمم داره وانزل حماه ... إذا جار الأعادي واستطالوا
وقل للمدعي هل حزت أصلا ... له بالطالويين اتصال
لقيناه بإسلامبول لما ... عدمنا فيه حرا يستمال
فوالانا وأولانا بشاشا ... وبشرا دونه العذب الزلال
وأنسانا بإيناس أناسا ... لهم في القلب حل وارتحال
ألا يا ابن الألى قد حزت فخرا ... له في جنة الدهر انتقال
وسدت اليوم أهل الأرض فاهنا ... بعز ماله عنك انتقال
فخذها مثل خلق منك سهل ... على الأعداء صعب لا ينال
كساها مدحك المحمود حسنا ... لها فيه ازدهاء واختيال
فتبدي تارة دلا لديكم ... ويعروها على الدنيا دلال
ترجي أن تنيلوها قبولا ... عسى يبدو لها منك احتفال
فإن أحسنت كان الأمر بدعا ... وإلا منكم يرجى الكمال
ثم أعقب هذا النظم بنثر، وهو: رضي الله عنك وأرضاك، وأخصب في مرابع المحامد مرعاك.
سلام عليكم ورحمة الله سلاما يتخذه البدر برق محياه، وقام لإجلاله سنا شمس الضحى وحياه.
وافتك حاسرة حسيرة، ونزهة يسيرة.
يشرفها ذكرك، ويكرمها شكرك.
والعذر واضح، وتفسير الواضح فاضح.
فإن لي خاطرا متى تفكر تفطر، وإن راجع وتدبر القدر تصبر.
والحر خل عاذر، واللئيم خب غادر.
ومثلك يغض ولا يغضي، وحلمك لا شك إلى الرضا يفضى.
وكتبه المحب الأكبر، والفقير الأصغر.
النائي عن الأخوان، محمد المد وببديع بل بشنيع الزمان.
وحكى الطالوي، أنه حن يوما إلى وطنه، حنين النجيب إلى عطنه، والمهجور إلى سكنه.
وقد ذكر مسقط رأسه، ومشتعل نبراسه.
وهي البلدة البيضاء أعني فاس، فتصاعدت منه لفرقتها الأنفاس.
حتى ذرفت عيناه بالدموع، شوقا إلى تلك المنازل والربوع.
فلما رأى الحاضرون حاله، رق كل له ورثى له.
فقلت عن لسان حاله، وقد توجه إلى منزله ببلباله، قطعة سبقته إلى النادي، وكانت عنده كبعض الأيادي .
مع لغز في اسم بلدة مراكش وكان قد جرى شيء من ذكرها، فنظمت ذلك أيضا في إثرها:

ربعت على تلك الربوع هتون ... وطفاء فيها للبروق حنين
مسفوحة العبرات سفح مدامعي ... نحو الديار كأنهن عيون
فسقى معالم فاس حيث صبابتي ... وصباي فيها صاحب وخدين
فارقتها وأنا الضنين وربما ... يسخو الفتى بالروح وهو ضنين
فعلى معالمها تحية مغرم ... في قلبه لهوى الديار شجون
وأما اللغز فهو:
وما اسم خماسي مسماه بلدة ... تركب من شكين وهو يقين
فشك تراه العين يبدو بلا مرا ... وشك بقلب لا تراه عيون
فكتب بسرعة لما وصلت إليه الرقعة: ومازال العبد من حين مفارقتكم لا يقر له قرار، إلى أن ورد شذا نظمكم المعطار.
فقال طالبا للقبول، على استعجال من الرسول:
مولاي لازلت فردا في المكارم يا ... أبا المعالي ودم في أرفع الدرج
ألبست فاسا وأهليها ثياب علا ... قد نمقتها يدا تقريظك البهج
لما جرى ذكرها في رحب خاطركم ... أنشدتها قول صب بالهوى لهج
لتهن يا فاس واخلع ما عليك فقد ... ذكرت ثم على ما فيك من عوج
وأما لغزكم السهل الممتنع، فهو في بلدة لقلب الصب الحبيب الممتنع.
وعاجلني الرسول، على نظم بعض الفضول.
ولكن في غد إن شاء الله يقع الإتمام، عالما ومقرا أن لي بساحة اقتداركم إلمام.
فكتب إليه ثانيا:
ما ذات عود لها لحن من الهزج ... باتت تغني به في روضها البهج
لها بدعوة نوح طوق غانية ... على وشاح من الأزهار منتسج
مخضوبة الكف لا من عندم خضبت ... ذاك البنان ولكن من دم المهج
مدت قوادم ليل فيه لاح لنا ... بيض الخوافي كصبح منه منبلج
يوما بأحسن من مرأى نظام فتى ... بذكر فاس ومغنى ربعها لهج

محمد بن أحمد المكلاني كاتب الإنشاء بحضرة سلطان المغرب
زانت شمسه ذلك الفلك، وجلت أنواره ظلماء الحلك.
فهو أديب منشي، محبر موشي.
سريع البنان، بديع البيان.
لا يحبس عنان قلمه، أوينثر الدر من كلمه.
ألفاظ كالبشرى مسموعة، وأزاهير الرياض مجموعة.
ومعان كأنفاس النسمات، عبقت في ثغور الزهرات المبتسمات.
فمن شعره ما كتبه على كتاب المقري " زهر الرياض في أخبار عياض " :
أهذه أدواح هذي الرياض ... أم هذه غدرانها والحياض
سالت بماء التبر خلجانها ... على سواد زان منها البياض
وأزرق الصبح بها قد جرى ... تخاله نهرا على الطرس فاض
تمثال نعل المصطفى شكلها ... جعلت خدي تربه عن تراض
ففاخر الترب نجوم السما ... فالشهب من آفاقها في انقضاض
تحسده الزرقاء في لثمها ... فالبرق من أحشائها في ائتماض
أذكر في عمري ديار الهدى ... فشمل دمعي أبدا في انفضاض
نبه كليم الوجد من شوقه ... فجفنه من وجده في اغتماض
وقل له بالله هذي طوى ... فاخلع وكن في ملة الشوق راض
وانتشق الأزهار من روضها ... واستشف منها بالعيون المراض
كم بات معتل الصبا عندها ... يروي أحاديث الشفا عن عياض
أيا إماما جامعا للعلى ... وبحر علم ورده العذب فاض
أبكار فكري بين أبوابكم ... تنزه الأحداق بين الرياض
إليكم قد رفعت أمرها ... فاقض على الأحرار ما أنت قاض

قد بايعت بالحق سلطانكم ... توفية بالعهد دون انتفاض
علي أبو الحسن الخزرجي المعروف بالشامي نزيل فاس
أديب صفت من قذى الأوهام خلائقه، وتشبثت بالفضل منذ منه كان علقة علائقه.
سقى روض آدابه صيب البيان فتروى، وأقدام أوصاف فضله على اقتضاب مدائحه وما تروى.
فهو روض أدب أريض، ومتحف الأسماع بأحسن سجع وقريض.
وله شعر يدل على جودة طبعه المرتاض، دلالة النسيم إذا هب على زهر الرياض.
فمنه قوله مقرظا على " كتاب المقري في أخبار عياض " :
أبا العباس أبدعتم طرازا ... نثرتم فيه أزهار الرياض
ونظمتم عقودا من لآل ... لجيد حلى المآثر من عياض
وأرقمتم غصون علاه لما ... سقاها فكر كم سقي الحياض
ونمقتم مطارف ما رأينا ... كطرتها سوادا في بياض
فدم للدين والدنيا إماما ... وبحر ندى علومك في افتياض
وله في مدحه أيضا:
أيا ناظرا متع عيونك ساعة ... بأزهار هذا الروض من حيث ما تخطو
وقف موقف الإذلال لله واطلبن ... بها نفحة الرضوان إن راعك السخط
فلو لم تكن مقبولة عند ربنا ... لما كان في هذي النعال بها وخط
وله في مدح النعل الشريف:
أيا نعل الرسول علوت قدرا ... وفخرك غير خاف للبيب
أقول لمن بحبي ذاب شوقا ... وأعيى داؤه طب الطبيب
تنسك مسك أنفاس لتشفى ... فهذا الطيب من عرف الحبيب
وله فيه أيضا:
مثال النعل في القرطاس خطا ... بسمر الشوق في الأحشاء خطا
ولما أن لثمت ندى ثراه ... وغشى نوره جفني وغطا
شممت الورد من رياه يندى ... وسمت البدر من علياه خطا
ففجر لي من العينين بحرا ... ونثرا من لآلي الدمع سمطا
وروى من سحاب الجفن جسمي ... وأورى من زناد الشوق سقطا
وله فيه من قصيدة:
دعوا شفة المشتاق من سقمها تشفى ... وترشف من آثار ترب الهدى رشفا
وتلثم تمثالا لنعل كريمة ... بها الدهر يستسقى الغمام ويستشفى
ولا تصرفوها عن مناها وسؤلها ... بعدلكم فالعدل يمنعها الصرفا
ولا تعتبوها فالعتاب يزيدها ... هياما ويسقيها مدام الهوى صرفا
جفتها بكتم الدمع بخلا جفونها ... فمن لامها في اللثم فهولها أجفى
علي بن ابراهيم بن أبي القاسم التونسي
أديب حمد مسعاه، ولم يجدب لرائد مرعاه.
ظهر على البدر التمام، وجاد طبعه جود الغمام.
فأطلع الكلام زاهرا، وأثبته للعقول باهرا.
وقد أثبت له ما تشتم عرف المسك من نفحته، وترى الإحسان مرتسما في صفحته.
فمنه قوله في النعل الشريف:
لمثال نعل الهاشمي محمد ... جادت جفوني بالدموع الذرف
وبكاي من فرط الأسى ولو أنني ... أقضي وحق جلاله لم أنصف
أوطأته خدي وقلت تعززي ... ما شئت يا نفسي بهذا وأشرفي
وتمسكي أبدا بحب محمد ... فعساك أن تنجى به في الموقف
صلى عليه الله ما جن الدجى ... وبدا الصباح ولاح نجم أو خفي
فهو الشفيع لمن تعاظم ذنبه ... يوم الحساب ويوم نشر المصحف

؟أبو محمد الحسن بن أحمد الفيومي المراكشي
أحد مشاهير الكتاب بباب المنصور، الذين خدموا سناه الممدود والمقصور.
تجملت سلطته بآثار ملكاته، حتى غدا نخبتها صدفا للآلي كلماته.
فاشتملت عليه اشتمال الروض على النسيم، وتبسمت أيامه تبسم ثغر الأمل عن الوجه الوسيم.
فاكتسب بهذا الانتماء أجل شهرة، وأوجب عليه شكر هذه النعمة دهره.
وهو إذا كتب باهت رقاعه البدور، وحلت من الزمان محل العقود من الأجياد والقلائد من الصدور.
وله لسان يصف بالعي لسان ابن الخطيب، وبنان كأنما تملي عن زهر الغصن الرطيب.
وشعره كالروض طال ريا، فطاب ريا.
فدونك منه قطعة نورها نور تجسم، وكل غصن منها ثريا ترسم.
وهي قوله، وكتبها في بعض مباني الوزير عبد العزيز الفشتالي:
أجل المعلى من قداح سروري ... وأدر كؤوس الأنس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسني ... فكست به الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشي المفوف حلتي ... نسق الشذور على نحور الحور
شاد القصور قصورها عن رتبة ... لي بالسنا الممدود و المقصور
في المبتنى المراكشي وأفقه ... أزرى على الزوراء والخابور
أعلى مقامي البارع الأسما الذي ... قد حاز سبق النظم والمنثور
فإذا أقل بنانه أقلامه ... نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب ... سر الخليفة أحمد المنصور
لا زال في أمن ويمن ما شدت ... ورق بروض بالندى ممطور ؟ ؟؟؟؟

عمر بن علي فكرون نزيل القاهرة
مصباح فهم متقد، وبرهان علم لكل معاند منتقد.
ازدهت بعصره الأعصار، وباهت به مصر جميع الأمصار.
إذا قدح زند فكره أورى بشرر يحرق الجهل، وإن طما بحر خاطره عم الجبل والسهل.
مع نزاهة التف بكساها، ونباهة ألغى بها نباهة جيله وأنساها.
وله أدب واسع مداه، ريان كالروض بلله نداه.
وشعر كماء العنقود في جامه، وقطر الندى في حسن انسجامه.
فمنه قوله من قصيدة:
طلع الهلال وأفقه متهلل ... فمكبر لطلوعه ومهلل
أوفى على وجه الزمان بغرة ... فغدا الصباح بنورها يتحمل
وزهت غصون البان في روضاتها ... وافتر من ثغر الأقاح مقبل
والورق غنت في الرياض وغردت ... لحنا بمعربه الفؤاد مبلبل
منها في المديح:
بحر التفضل والتكرم والندى ... وله كمال مجمل ومفصل
جعل العدالة شأنه وشعاره ... والسعد يمضي ما يقول ويفعل
نطق الزمان بمدحه وبحمده ... وبذاك ألسنة الورى لاتغفل

ابراهيم بن محمد السوسي الإنسي
ظرف رشاقة وظرف وحبة فؤاد وإنسان طرف.
فهو نور حدقة الناظر، ونور حديقة الغصن الناضر.
روح طبعه بروح الشمول والشمال، فنبغ وله الفضل أحسن ما صور صورته الكمال.
وله في الشعر أفانين، أطرب من رنات القوانين.
فمن شعره قوله في الغزل:
يا من رماني بسهم اللحظ في مضى ... أوحشتني وحشوت القلب جمر غضا
كسرت قلبي بتكسير الجفون كما ... نصبت حالي لأسهام الجفا غرضا

فكم نصبت لك الأشراك في حلم ... لعل طيفك وهنا في الكرى عرضا
وأضرم النار بالذكرى على علم ... من مهجتي يهتدي بالنار حيث أضا
إن قست وجهك بالبدر المنير على ... غصن على كثب الجرعاء ذات أضا
لله ظبي حشا بالسحر مقلته ... فكم جليت به أستاره حرضا
في فيه عين وعين فيه جوهرة ... من الحياة وبرق للمنى ومضا
وقوله:
لا غزو إن كنت تجفو الإنس يا رشأ ... فمن خصال الظبا أن تنفر البشرا
يا ليتني كنت وحشيا أنزه في ... مفتون وجهك في سقط اللوى نظرا
وكتب إليه بعض الأدباء:
يا أبا إسحاق قل لي موجزا ... أي شيء مبرد حر النوى
قد أبت إلا سهادا مقلتي ... وانسكاب الدمع شوقا للوى
فأجابه بقوله:
زارني روض بيان سحرا ... جامع بين رواء وروى
تتهادى في الحشا نفحته ... طلبت مني دوا داء النوى
قلت عن طب وما يعزى لمن ... جرب الأمر عليه بالدوا
عرق وصل ونبات الصدر من ... ماء ثغر أشنب كل سوا
فاسحقنها بمهاريس اللوى ... وأشربنها بكؤوس من هوى
فهو ترياق لأمراض النوى ... مطفئ بين الحشا جمر الجوى

محمد بن يوسف التاملي

من أعيان المغرب علما ونفاسة، إذا ذكر سناؤه عطر نسيم الرياض بعرفه أنفاسه.
مراميه الآخذة للقلوب مصمية لأغراضها، وعيون أشعاره مادة الفتون في صحاح الأجفان ومراضها.
أوتي نصاعة المقترح وطلاوة اللسن، فوقف البيان حائرا على كلامه لما رآه جامع القول الحسن.
وقد ذكرت له ما تهفو إليه القلوب والضلوع، وتسابق إليه الخواطر وبواعثها التوله والولوع.
فمن ذلك كتاب كتبه إلى أبي العباس المقري: إلى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق، وطلعت شموس معارفه في غاية الإشراق، وصار له في ميدان الكمال حسن الاستباق.
إمام العصر، بجميع أدوات الحصر.
سلام من النسيم أرق، وألطف من الزهر إذا عبق.
وبعد؛ فأخباركم ترد علينا، وتصل دائما إلينا، بما يسر الخاطر، ويقر الناظر، مع كل وارد وصادر.
كتبت إليكم من الحضرة المراكشية مع كثرة أشواق، لا تسعها الأوراق.
كتبكم الله فيمن عنده، كما جعلكم ممن أخلص في موالاة الحق قصده.
وودي إليكم غض الحدائق، مستجل في مطلع الوفا بمنظر رائق، لا يحيله عن مركز الثبوت عائق.
وحقيق بمودة ارتبطت في الحق وللحق معاقدها، وأثبتت على المحبة في الله قواعدها؛ أن يزيد عقدها على مر الأيام شدة، وعهدها وإن شطر المزار جدة، وأن تدخر للآخرة عدة.
وإني لمن يعتقد موالاتكم عملا صالحا يقرب إلى الله ويزلف إليه ويعتمدها أزرا يعول في الآخرة يوم لا ظل إلا ظله عليه.
فإنكم واليتم فأخلصتم في الولا، وعرفتم الله فقمتم بحقوق الصحبة على الولا.
معرضين عن غرض الدنيا وعرضها، معرفين بشروط نفلها ومفترضها.
إلى أن قضى الله بافتراقكم وحقوقكم المتأكدة دين علينا، والأيام تمطل بقضائها عنا وتوجه الملام إلينا.
فآونة أقف فأقرع السن على التقصير ندما، وآونة أستنيم إلى فضلكم فأتقدم قدما.
وفي أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق، إلا وقد كر عليه فيكم آخر لاحق.
حتى وقفت موقف العجز، وضاقت علي العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكدت لا أتكلم إلا بالرمز.
إجلالا لحقكم الرفيع، وإشفاقا من التقصير المضيع.
إلى أن قال: وبالجملة ففؤادي لمجدكم صحيح لا سقيم، واعتدادي بودادكم منتج غير عقيم.
والله تعالى يجعل الحب في ذاتكم الكريمة، ويقضي عن الأحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه.
وصحبة هذا الكتاب قطعة أرجوزة هي قوله:
لله در العالم الجياني ... كأنما ينظر بالعيان

للمقري العالم المفضال ... منظرا بأحسن المثال
وعالم بأنني من بعده ... أشير في نظامنا لقصده
وها أنا بالله أستعين ... مضمنا وربنا يعين
بالشطر من ألفية ابن مالك ... أيدنا الله لنسج ذلك
قال محمد عبيد المالك ... وسالك الأحسن من مسالك
نشير بالتضمين للنحرير ... المقري الفاضل الشهير
ذاك الإمام ذو العلاء والهمم ... كعلم الأشخاص لفظا وهوعم
فلن ترى في علمه مثيلا ... مستوجبا ثنائي الجميلا
ومدحه عندي لازم أتى ... في النظم والنثر الصحيح مثبتا
أوصاف سيدي بهذا الرجز ... تقرب الأقصى بلفظ موجز
فهو الذي له المعالي تعتزي ... وتبسط البذل بوعد منجز
رتبته فوق العلى يا من فهم ... كلامنا لفظ مفيد كاستقم
وكم أفاد دهره من تحف ... مبدي تأول بلا تكلف
لقد رقى على المقام الطاهر ... كطاهر القلب جميل الظاهر
وفضله للطالبين وجدا ... على الذي في رفعه قد عهدا
قد حصل العلم وحرر السير ... وما بإلا أو بإنما انحصر
في كل فن ماهر صفه ولا ... يكون إلا غاية الذي تلا
سيرته جرت على نهج الهدى ... ولا يلي إلا اختيارا أبدا
وعلمه وفضله لا ينكر ... مما به عنه مبينا يخبر
يقول مرحبا لقاصديه من ... يصل إلينا يستعن بنا يعن
صدق مقالاتي وكن متبعا ... ولم يكن تصريفه ممتنعا
وانهض إليه فهو بالمشاهده ... الخبر الجزء المتم الفائده
والزم جنابه وإياك الملل ... إن يستطل وصل وإن لم يستطل
واقصد جنابه ترى مآثره ... والله يقضي بهبات وافره
وانسب له فإنه ابن معطى ... ويقتضي رضا بغير سخط
واجعله نصب العين والقلب ولا ... تعدل به فهو يضاهي المثلا
قد طال ما أفاد علم مالك ... أحمد ربى الله خير مالك
وحاسد ومبغض له زمن ... وهالك وميت به قمن
وليس يشفى مبغض له أعل ... معنى وفي هراوة جعل
يقول عبد ربه محمد ... في نحو خير القول إني أحمد
وهو بدهره عظيم الأمل ... مروع القلب قليل الحيل
فادع له وسادة قد حضروا ... وافعل أوافق نغتبط إذ تشكر
واجبره بالدعا عساه يغتنم ... فجره وفتح عينه التزم
أنشدت فيكم ذا وقال قائل ... في نحو نعم ما يقول الفاضل
أدعو لكم بالستر في كل زمن ... لكونه بمضمر الرفع اقترن
مآثر لكم كثيرة سوى ... ما مر فاقبل منه ما عدل روى
قد انتهى تعريف ذا المعرف ... وذو تمام ما برفع يكتفي
لأنتم تاج الأئمة الأول ... وما بجمعه عنيت قد كمل
فالله يبقيكم لدينا وكفى ... مصليا على الرسول المصطفى
تترى عليه دائما منعطفا ... وآله المستكملين الشرفا

حسن بن مسعود اليوسي المراكشي

شيخ حسن السمت، سليم الطبع عن العوج والأمت.
تلقيت خبره من الرواة، فرأيت له ثناء حسنا يعطر الأسماع والأفواه.
هم مستغن في حد ذاته عن زيادة الأوصاف، وله شعر نعته بالحسن من مراعاة الإنصاف.
فمنه قوله، لما دخل فاس فلم يلق فيها مبرة، ولم ير من أهلها إلا تهلل أسرة.

فبقي فيها مثلول العرش، بل أقل من همزورش:
ما أنصفت فاس ولا أعلامها ... قدري ولا عرفوا جلالة منصبي
لو أنصفوا لصبوا إلي كما صبا ... راعي سنين إلى الغمام الصيب
أشار إلى قول الشاعر:
وحديثها كالقطر يسمعه ... راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ... ويقول من فرح هيا ربا
فصل للميكالي: أنا أولى بالحمد وقد لحظت مواقع أنامله، وشققت بوارق فضائله، من راعي القفر وقد رأى القطر سكبا، بعد سنين تتابعت جدبا.
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ... ويقول من فرح هيا ربا
ولليوسي:
على رسلكم يا أهل فاس فإنني ... فتى لست بالفدم الغبي ولا الغمر
أنا الصارم الماضي ويا رب نافث ... يخلق في البحث الأديم ولا يفري

يحيى بن محمد الشاوي الجزائري نزيل مصر
منتهى الكلام، وخاتمة الأعلام.
الجهبذ النحرير، مالك أزمة التقرير والتحرير.
فاق أهل الآفاق، وانعقد على تفرده الوفاق.
فهو المقرر ببرهان التطبيق توحيده، فلا تمانع فيه إلا من معاند علم مرجعه عن الحق ومحيده.
فكل منهل ينضب إلا منهله الزاخر، وكل قدرة تلتقي طرفاها إلا قدرة بنانه التي أعيى الأول منها الآخر.
إذا استخدم القلم أبدى سحر العقول، وإن جرت على لسانه الحروف وفق بين المعقول والمنقول.
وعلى الجملة فهو كما قيل: لو باراه سحبان سحب ذيل الخجل، أو ماراه صعصعة تصعصع قلبه من الوجل.
أو بارزه الفرزفرز سحره، أو جاراه ابن بحر غاض بحره يخل لسان الخليل في عينه، ويدرد ابن دريد بإظهار مينه.
ويوهي سيبويه نحوه، ويطفيء نار نفطويه محوه.
ويهشم أنف أبي هاشم في اعتزاله، ويتجنب الجبائي صولة انخزاله.
مرهف طبعه مشجذ قاطع، ووجهه إقباله كأنما صور من نور ساطع.
يلمع نور العلم في جبينه، وفضله لا يخفى على مستبينه.
سريع الجواب، ظاهر الصواب.
معجز ببيانه، مفيد في كل أحيانه.
إلا أن طبعه أحر من القيظ، وإذا غضب يكاد يتميز من الغيظ.
وله تآليف هطلت سحب إفادتها الذوارف، فأضحى بها وهو العلم الفرد أعرف المعارف.
وهو أجل من أخذت عنه العلوم، واقتبست من فوائده ما ترسخ به طائشات الحلوم.
وذلك بالروم حين وردها ثانيا، وأنا مقيم بها أسامر آمالا وأمانيا.
ولدي شوق يطيرني إليه، ووجد يقتضي أن أرمي لهفتي عليه.
فغنمته برهة من الدهر، أتلو سور مدائحه في السر والجهر.
وقد كتب لي إجازة بخطه، هاهي مزينة بضبطه: الحمد لله الحميد، والصلاة والسلام على الطاهر المجيد، وعلى آله أهل التمجيد،
أجزت الإمام اللوذعي المعبرا ... أمينا أمين الدين روحا مصورا
سليل محب الدين بيت هداية ... وبيت منار العلم قدما تقررا
بإقرائه متن البخاري الذي به ... تقاصر عنه من عداه وقصرا
موطا شفاء والشفاء كمسلم ... إذا مسلما تقريه حقا تصدرا
وباقي رجال النقل حقا مبينا ... وتفسير قول الله في الكل قدرا
أجزت المسمى البدر في الشرع كله ... كما صح لي فاترك مراء تكدرا
وعلم كلام خاليا عن أكاذب ال ... فلاسفة الضلال والعدل نكرا
أقول لكل فلسفي يدينه ... ألا لعنة الرحمن تعلو مزورا
أجبريل فلك عاشر يا عداتنا ... أعادي شرع الله نلتم تحيرا
بأي طريق قلتم عشر عشرة ... ونفى صفات والقديم تحجرا

حكمتم على الرحمن حجرا محجرا ... ومنعكم خلق الحوادث دمرا
أبري الحبيب اللوذعي عن الردى ... مجازا بدين الشرع كلا محررا
ولكن عليه النصح والجد والتقى ... وإن ناله أمر القضاء تصبرا
حماه إله العرش من كل فتنة ... ونجاه من أسواء سوء تسترا
وصل وسلم بكرة وعشية ... على من به حي القلوب تحيرا

خاتمة

وهنا وقفت بي مطية السير، وختمت الكلام راجيا من ربي خاتمة الخير.
ولما فرغت من جمعه، وجعلته هدية لناظر الدهر وسمعه.
التفت إليه فشاقني، وحدا بي نحو الإعجاب وساقني.
فأقول كما قال ابن الخطيب، لا برح ذكره يعبق ب " عرف الطيب من غصن الأندلس الرطيب " : لما رأيت من ذكر فيه قد تخلدت آثارهم، وشنف أذن الزمان نظامهم ونثارهم،نافستهم في اقتحام تلك الدور،وقنعت باجتماع الشمل ولو في خلال السطور.
وحرصت على أن أنال منهم قربا، وأخذت أعقابهم أدبا رحبا، كما قيل: ساقي القوم آخرهم شربا.
والله سبحانه يدبر أمري، ويحسن بفضله آخر عمري.
ويسترني في هذه البقية، ويجعلني من خلص هذه البيضاء النقية.
فقد بقي في إناء العمر صبابة من شراب، فلعلي لا أريقها في يوم هاجرة للمع سراب.
وإذا نزل بي الموت، وفات في أجلي الفوت، لا يعدمني من يترحم علي؛ ويهدي ثواب فاتحته إلي.
فمبدأ حالي، وما أفضى إليه نزولي وارتحالي، قد صرحت به تارة وعرضت أخرى، فرأيت ترك التعرض له هنا أولى وأحرى.
وإنما أذكر هنا بعض فضول الكلام، قصدت أن أنسلك بها في سلك هؤلاء الأعلام.
فهي إن لم تكن مما يخطبه الخاطب، فلتكن مما يحتطبه في ليل سطوره الحاطب.
فمن ذلك فصولي القصار، وقد ذكرتها مقتصرا على زبدها غاية الاقتصار: في الأحاديث صحيح وسقيم، ومن التراكيب منتج وعقيم.
للنفوس صبابة بالغرائب، وإن لم يكن من الأطايب.
قال بعض أهل العرفان: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكران الروض إن لم يشكر الغمام بعرفه، ففي وجهه شاهد من عرفه.
شفاعة اللسان، أفضل زكاة الإنسان.
إذا ما سقط الرجا، فالناس كلهم أكفا.
لله ألطاف غنية عن البيان، وهو مع تنزهه عن الحوادث كل يوم في شان.
وللدهر نسخة تعرب عن الأقدار، وحجة القضاء بيننا هي مسودة بالليل نراها مبيضة بالنهار.
فبينا تراه كليالي المحاق لا شموس ولا أقمار، أعقب ليالي مقمرة وأياما مشمسة تسر القلوب والأبصار.
من تواضع رقي لمراتب السلف، فإن التواضع كما قيل سلم الشرف.
العلم مع المنخفض والآبي، كالماء مع الوهاد والروابي.
من لم يكن بالفضل ذا رجحان، يميل بالخفة مثل الميزان.
إذا زاد قرينك في الترقي، فزد أنت من شره في التوقي.
ليست الأذناب كالأعراف، ولا الأندال كالأشراف.
إذا صحبت فاصحب الأشراف تنل التشريف، فإن المضاف يكتسب من المضاف إليه التنكير والتعريف.
السلعة على قدر الثمن، والحركة على قدر تنشيط الزمن.
أعوذ بالله من الكساد، فإنه أخو الفساد.
إنجاز وعد بإنجاح الندى، أحسن من نور يفتحه الندى.
تمتلي الغدران إذا همى السحاب، فكأن الغدر فذلكة والسحاب حساب.
تتبع الأمر بعد الفوات تغرير، وتركه إذا أقبل عجز وتقصير.
إذا ساعد الدهر على سرور فواته، واغتنم منه وقتا سر قبل فواته.
السرور إذا دعوته ينجاب، والكدر ما إن دعوته أجاب.
أعمار الكرام مشاهرة، وأعمار اللئام مداهرة.

للود حق، يدعى به الباطل فيستحق.
وللخلة ذمام، تتأخر به المعدلة وهي أمام.
قيام النفوس بالوداد، أولى من قيام الأجساد للأجساد.
ما من يعاند الحق ببهتانه، إلا كمن يسابق العتاق بأتانه.
ليس لإرشاد البهائم سبيل، والحمير لا تعرف طعم الزنجبيل.
أعجب الأشياء فاسق يبحث في الحلال والحرام، وآلمها للقلب مجالسة اللئام للكرام.
إخوان هذا الزمن عراهم الخلل، وكانوا على صحة فداخلتهم حروف العلل.
أكثر أبناء الزمان أحداث، وهم مع أحداثه أحداث.
في أولاد الزنا كثرة، ولعين الزمان نظرة.
حالي مع أبناء الدهر كمودع الريح في أكمام العريان، وواضع المصباح في رواق العميان.
أنا وإن بقيت في خلف أجرب، فإني بالصبر جذيلها المحكك وعذيقها المرجب.
نام بمهد الخمول حظ زماني، فليته كان يحلم بطيف الأماني.
على الأيام من حزني عن قدح العزمات سلام حملته مرسلات النسمات.
لما برد قلبي أيقنت بالنجح، ودلني ذلك كما دل برد النسيم على الصبح.
الأكمام تبشر بالأزهار، والفجر يجيء طليعة للنهار.
نسبة الكريم إلى الكرام، نسبة الرياض إلى الغمام.
الضامن غارم، وعدات آلى السماح مغارم.
الجود حارس الأعراض، والبخل غارس الأغراض.
الكريم تثني عليه وفود الركائب، ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب.
السخي من إذا تبرع، عف مال الورى وتورع.
الرزق من الكريم تسخير، وله وقت يأبى التقديم والتأخير.
رزق أهل الفصاحة مسجون، وحديث قلة حظهم شجون المشجون.
يمسح قذى العرض النوال، ومناديل الأعراض الأموال.
لا فضيحة أخس من تقطيب الخاذل، ولا عز أحسن من أريحية الباذل.
الكرم أشرف الأحساب، والمودة أقرب الأنساب.
السخاء من خطوب الزمن نعم الواقي، وخير الجزاء للمرء هو الباقي.
خير العروض وقاية الأعراض، وقد تصدق المفاهيم إذا صدقت الأغراض.
لولا خلال سنها الشعر للأكارم، لم يدر بغاة الندى طريق المكارم.
أكثر الكنوز في الخراب، والتبر مطروح مع التراب.
الاقتصاد أسلم لذي المال القليل، والبخل خير من سؤال البخيل.
من افتقر احتقره الناس، والجود سكر خماره الإفلاس.
ما طال لسان المعذرة، إلا لما قصرت يد المقدرة وليس هذا بمحل الكتمان، ورقصي على مقدار إيقاع الزمان.
غير ملوم في الجود من ضاق يدا، فإن الغناء كما قالوا أخو الندى.
جهد المقل في الزمان الجدب، أحسن من عذر المخل العذب.
رضيت بالقضاء إذ ضن دهري بالكفاف، لأجوز بحر الخطوب من جسر الصيانة والعفاف.
الاعتدال في الجود، أحسن من الاعتداء على الموجود.
ومن أمثال الأطبا: من لزم القصد، استغنى عن الفصد.
إنما تضيء دياجي الخطوب إذا تمرطت منها المناكب، بنجوم المعالي المشرقة في سماء المناقب.
مقام القطان في الأوطان، مقام الأرواح في الأبدان.
قلما تصيد في أوكارها الطير، والأهلة لا تصير أقمارا إلا بالسير.
قيل: دون الغيب أقفال، لا يفتحها الزجر والفال. قلت: للغيب أقفال، مفاتيحها التيمن والفال؛ لقولهم: ألسنة الخلق أقلام الحق.
المرء يكلف بالاجتهاد في المطالب، وليس عليه ضمان العواقب.
رب شخص قربه نفع لا يخشى الإنسان معه ضيرا، وقلبه مشحون بنية الخيرات فمن يخطر بباله يلق خيرا.
لم ينتبه من نومه، من لم يستغفر لأمسه من يومه.
لا تقل لذاهب قد ذهب، لكن رددته إلى من وهب.
بقاء الأعمار مبني على الأنفاس، والبقاء الذي يكون على الريح إن تأملته بغير أساس.

ولى عصر النشاط والشبيبة، فاغتنم بقية مع الحبيب والحبيبة.
ولا تنم بعد ذاك العصر عن الفتون، فالنوم بعد العصر كما قيل جنون.
الشيب نذير للجسم بانهدام بنائه، كابيضاض مخضر النبات دليل استحصاده وفنائه.
إذا كانت الأجساد بالقوة فانية، والآجال مع الساعات متدانية، فكل حي يفقد حين يولد، ويعدم حين يوجد.
فأي أنس لنفسي ولا صفو إلا إلى كدر، ولا عين إلا إلى أثر.
إذا وافى الأجل، اصطلح الظن والأمل.
رب مجد في رجا مطالبه، ومن خلفه الآجال تسخر بالمطال به.
المرء طوع المقادير، والاجتهاد إبلاء المعاذير.
كل امرئ بوقته مرهون، ولابد يوما أن تفك الرهون.
من قال: عيون الحوادث نيام، فليخش أن يوقظها له قدر لا ينام.
الدهر تعرف أن اللؤم من أوصافه، فإن شئت الحظوة به كن مثله أو صافه.
الدهر أقصر من أن يقصر بالعتاب، ويا لهفتاه على عمر يكدر بالهجر والاجتناب.
إياك أن تتورط بالأهواء إلى العنا، فإن الغنا كما قيل رقية الزنا.
رب أمل في طي يأس مدرج، ومحبوب في ضمن مكروه مدمج.
ما كل خوطة رطبة المهز، ولا كل ثمرة تجيب داعي الهز.
إذا أعوز الزلال البارد، استقى من الكدر الظمآن الوارد.
وربما ساق الدهر أحرارا، إلى تناول الميت اضطرارا.
ما دامت الأفلاك دائرة، فقد دارت على الزمان الدائرة.
الزمان واهب وناهب، والوجود جاء وذاهب.
لو على الاختيار دارت الأفلاك، لم يكن سوى الحسان الخلق والخلق فيه من الأملاك.
كثيرا ما يزول العشق بجنايات الصدود، والزيادة في الحد نقصان في المحدود.
العاشق من يستعذب الهوى ويلذه، فإن العشق كالخمر أمره ألذه.
إذا لم يتوارد القلبان على مورد واحد، فالعاذل يضرب في حديد بارد. ا
أمران من غيرهما أمران، لؤم كحد السنان، ولوم كوخز المران.
من لحظني بنظر شذر، بعته بثمن نزر.
ما اغتابني في غيب، إلا ذو عيب.
ولا ذم مني حسن طبع وخيم، إلا من هو صاحب طبع وخيم.
غيبة الأنام، مضغة لفظها الكرام.
واللئيم من لا يحسد ولا يستغاب، فإنه لا يمضغ إلا ما طاب.
إذا وعظتني فلم أنتبه، فلعلك تنتبه أنت به .
يخلص من الشرك، من عقله بالهوى غير مشترك.
من كذب فيما قال، فهو للحق والصدق قال.
من لم يفهم ما يريد، فكيف يفهم ما تريد.
أكثر من يرغب في زيادة الوصف، تراه يكبر من وراء الصف.
مثل ما يروج من الأشعار، عند من لا يدري ميزان الأسعار، مثل الأعاريب لم يروا خبز الحنطة فيكبرون خبز الشعير، والقوم لم يروا لجة البحر فهم يعظمون ماء الغدير.
المادح فيما يتعب فكره فيه من الأشعار، كالمجمرة تعطر غيرها وتتأذى هي بالنار.
من ذا الذي يسمع ما قضيته من الشدة والألم، ولا يقذف القرطاس والدواة والقلم.
ما مثل من رجوته يحرم القصاد، وإنما نحس السؤال قد يعدي الأجواد.
ما بي إذا أحرمني من نواله بأس، إلا أنه أشمته في رجائي منه اليأس.
رب شخص أمضى من عسر بعد يسر، لا تعرف أنه إنسان إلا بأنه في خسر.
وعده ينهك بانتظاره قوى الأمل، ويحقق أنه ليس بإنسان لأن الإنسان خلق من عجل.
كم سمح بيته بالزاد نعم، لكن ليس لما يفعله طعم.
إذا بدا شكله للعيون، فهو أقبح من وثيقة المديون.
رب رجل يعجب الناس وهو صامت، فإذا نطق فكل حاسديه شوامت.
السكوت عن غير الصواب صواب، وترك مماراة الجاهل جواب.

لسان المرء عن عقله ترجمان، فمن زل عقله زل لسانه.
ليس الفضل كله في الجمود، حتى يلتبس الإنسان بالجلمود.
إذا صدر القول عن عربي فلا يضره عجمة ناقل، فما يضر محاسن سحبان أن تجري على لهجة باقل.
ما كل زند زند أبي لهب، ولا كل موزون هو الذهب.
ليس لرجل حطه الله رافع، ولا لأمر شاءه في الخلق دافع.
تخليص المتاب، ينفي خبث العتاب، وحسن الاعتراف، يمحو سوء الاقتراف.
وكتبت إلى بعض الموالي بعد اجتماع وتودد: حضرة المولى، الذي نرى شكره من كل شكر أحق وأولى.
من ابيضت بغرة إقباله الأيام، وأخجل وشي براعته النجوم فتلفعت بأردية الغمام.
لا زالت الألطاف الربانية تغشى بابه، والسعادة الأبدية تملأ رحابه.
ألثم بأهداب مقلتي مواطىء أقدامه، وأقبل بشفتي باسطة موارد خدامه.
وألوذ بسدته لياذ المشفق الشفوق، وأعوذ بأنوار طلعته من ظلمات التقصير والعقوق.
فارقته ولي فؤاد يبغض الجفا كما يبغض الناس الأعدا، ويعشق الوفا كما يعشق الناس الأودا.
وخاطر مملوء بالمحبة التي لا تجاورها الغمة، وناظر زهد عن النظر بعده إلى أحد من الأمة.
وفي عنقي من نعمه طوق، مالي بأداء شكره طوق.
وأنا الآن في عافية لا عيب فيها إلا فقده، ونعمة لا وصمة فيها إلا بعده.
لكن لي من ذكره مرآة أرى وجهه فيها، وأطالع من صورة إقباله ما يشفي القلوب التي عنده أمانيها.
وبين ضلوعي ولاء تشتك أواصره والأنساب منفصمة، وتشرق صفحاته وأسرة الشمس مظلمة.
فما استفتحت إلا بذكره، ولا ختمت إلا بشكره.
وما بين ذلك أجيبه بالدعا، وأباهي به بين الملا.
وإني لأذكر عهده، ومقامي عنده.
في ليال نجيل فيها للأنس قداحا، ونتهادى الأحاديث إن لم نتهاد أقداحا.
حتى تكون الألسنة بوصفها تغرى، وترتشف دجاها لمى وصبحها ثغرا.
فأشتم حظي في فراقه وأقذفه، وألوم دهري الخؤون وأعنفه.
وقد كان في حكم ما أولانيه من فضله المعروف، وإحسانه الذي استوعب صنوف الصنوف، أن يكون في كل وقت عنده كتاب، ولكن على الأيام وعواديها العتاب.
فلولا ما عرض، من مقابلة الجوهر بالعرض، لما أغفلت خدمة مولاي من رسائل أستجلب بها شرفا طارفا، كما استفدت في الفوز بخدمته الجليلة مفخرا سالفا.
ولا استحقيت سخطه الذي حره يذيب، ودونه التعذيب، بل النار والجحيم، والعذاب الأليم.
وأسأل الله تعالى أن يمن علي برضاه، حتى يكون سببا لإحراز دعاه.
وفيه الكوثر والتسنيم، والنعيم، المقيم.
وليس هو إلا الجنة، لكل نفس به مطمئنة.
وقلت في غرض اقتضاه الحال: جرى القلم، بما فيه ألم ألم.
وذلك أن بلوت شخصا من الكتاب، باقتضاء من قضاء منزل الكتاب.
فخالطته عن قلب سليم، وفارقته لا عن رضاء وتسليم.
لما رأيته يزعم أن العشرة محاسبة لا مناسبة، ومواربة لا مقاربة، وملاكمة لا مكارمة، ومحاملة لا مجاملة.
فالعطية معه خطية، والمنية هنية.
والعناية جناية، والسلامة ملامة.
يباعد فما يقارب، ويعاند فما يراقب.
تبلد طبعه، وتكدر نبعه.
فخاطره ينبو، وقلمه يكبو.
فيسهو ويبطي، ويسقط وهو يخطي.
بخط منحط، كأرجل البط على الشط.
وأنامل السرطان، إذا مشى على الحيطان.
وله قلم، ظفره لا يقلم.
ويراع، به الفكر يراع.
يخدش به القرطاس، وينقش الأنفاس، ويأخذ بالأنفاس.

وحزبه جماعة، أخذتهم حميا مجاعة.
ما فيهم إلا خبيث نفس، من قبيل البستان كله كرفس.
فوجوده بينهم فذلكة، للنوائب المهلكة.
فيا أبطأ من غراب نوح، وأخطأ من غيمة على بوح.
ما أغراك بما يغرك وأضراك بما يضرك.
أتظن أن ستترك سدى، أم لا تحاسب غدا.
كلا إن حسابك هين، وعقابك متعين.
وقلت، من تهنئة بنصول من مرض: بلغني شكايتك فارتعت، ثم عرفت ارتياحك فارتحت.
فالحمد لله الذي جعل عافيتك عاقبتك فيما تشكيت، وسلامتك التي ألبستك من الأجر لأمتك عوضا عما عاينت وعانيت.
فشفيت منذ شفيت الأجسام، وأقبلت نصرة الشفاء ففر الهم وتبعته الآلام، ولم يبق بحمد الله مريض إلا الجفون السقام.
ومن نظمي قولي من مقصورتي النبوية ومستهلها:

دع الهوى فآفة العقل الهوى ... ومن أطاعه من المجد هوى
وفي الغرام لذة لو سلمت ... من الهوان والملام والنوى
وأفضل النفوس نفس رغبت ... عن عرض الدنيا وفتنة الظبا
والعشق جهل والغرام فتنة ... وميت الأحياء مغرم الدمى
قالوا لنا الغرام حلية الحجى ... قلنا لهم بل حلية العقل التقى
وهل رأيتم في الورى أذل من ... معذب تلهو به أيدي الهوى
أو أحدا أغبن من متيم ... تقوده شهوته إلى الردى
وللغواني فتنة أشد من ... قتل النفوس والفتى من ارعوى
وما على ساجي الجفون راقد ... من دنف يبيت فاقد الكرى
ومن أعد للشتا كافاته ... فلا تريعه برودة الهوا
مظنة الجهل الصبا وإنما ... مفسدة المرء الشباب والغنى
والنفس ما علمتها فإن تجد ... ذا عفة فزهده من الريا
والناس إما ناسك بجهله ... أو عالم مفرط أو لا ولا
كأنهم أفيال شطرنج فلا ... يظاهر المرء أخاه في عنا
وإن خفيت بينهم عذرتهم ... فشدة الظهور تورث الخفا

منها:

وليلة بت أعد نجمها ... والدمع قاني الصبغ محلول الوكا
ولم يطل ليلي ولكن الجوى ... يعيد ليل الصيف من ليل الشتا
والشوق كالليل إذا الليل دجا ... والليل كالبحر إذا البحر طما
كأنما المريخ عين أرمد ... أو جمرة من تحت فحمة الدجى
كأنما السها أخو صبابة ... يكاد يخفيه السقام والضنى
كأنما سهيل راعي نعم ... أو فارس يقدم جيشا للوغى
كأنما الجوزاء عقد جوهر ... أو سبحة أو مبسم العذب اللمى
كأن منقض النجوم شرر ... تثيره الرياح من جمر الغضا
كأنما السحب ستور رفعت ... أو موج بحر أو شوامخ القلا
كأنما الرعد زئير ضيغم ... قد فقد الشبال أو صوت رحى
كأنما البرق حسام لاعب ... يديره في يده كيف يشا
كأنما القطر لآل نثرت ... على بساط سندس يوم جلا

منها:

كأنما الهم غريم مقسم ... أن لا يغيب لحظة عن الحشا
كأنما القلب مكلف بأن ... يحمل منه ما تحمل الورى
كأنما وجه البسيط شقة ... لا تنطوي ولا لحدها انتها
كأنني موكل بذرعها ... من قبل الخضر بأذرع الخطا
لا أستقر ساعة بمنزل ... إلا اقتضى أمر تجدد النوى
ولا تراني قط إلا راكبا ... في طلب المجد وتحصيل العلى

والحر لا يرضى الهوان صاحبا ... وليس دار الذل مسكن الفتى
والعقل في هذا الزمان آفة ... وربما يقتل أهله الذكا
وذو النهى معذب لأنه ... يريد أن ترى الأنام ما يرى
والناس حمقى ما ظفرت بينهم ... بعاقل في الرأي إن خطب دهى
وكلما ارتقى العلى سريهم ... كف عن الخيرات كفا وطوى
يهوى المديح عالما بنقده ... ودون نقده تناول السها
وإن طلبت حاجة وجدته ... كمشجب من حيث جئت فهولا
إن أوعدوا فالفعل قبل قولهم ... أو وعدوا فإنهم كالشعرا
والآن قد رغبت عن نوالهم ... وتبت من مديحهم قبل الهجا
لا ينبغي الشعر لذي فضيلة ... كيف وقد سدت مذاهب الرجا
وخابت الآمال إلا في الذي ... حماه ملجأ العفاة الضعفا
منها:
يا خير من يشفع في الحشر ومن ... أفلح قاصد لبابه التجا
كن لي شفيعا يوم لا مشفع ... سواك ينجي الخائفين من لظى
قد عظم الخوف لما جنيته ... والعفو عند الأكرمين يرتجى
وليس لي عذر سوى توكلي ... على الكثير عفوه لمن عصى
لولا الذنوب ضاع فيض جوده ... و لم يبن فضلك بين الشفعا
وها كها خريدة مقصورة ... على معاليك ومهرها الرضا
إن قبلت فيالها من نعمة ... وهل يخاف وارد البحر الظما
صلى عليك ذو الجلال كلما ... صلى عليك مخلص وسلما
وباكرت ذاك الضريح سحرة ... حوامل المزن يحثها الصبا
ما سل عضب الفجر من غمد الدجى ... وما سرى ركب الحجاز مدلجا
وهذه أرجوزة في الأمثال:
أحسن ما سارت به الأمثال ... حمد إله ماله مثال
فالحمد لله على إسدائه ... فضلا يكل النطق عن إحصائه
ثم الصلاة للنبي المحترم ... منبع أسرار العلوم والحكم
وآله وصحبه الكرام ... من فهموا مزية الكلام
ما تليت محاسن الألفاظ ... فشنفت مسامع الحفاظ
وهذه تحائف أهديها ... من حكم لمن وعى أبديها
سميتها براحة الأرواح ... جالبة السرور والأفراح
قالت لها الأمثال حزت السبقا ... إذ أنت في حفظ اللبيب أبقى
إن اللبيب يعرف المزايا ... وكم خبايا لحن في الزوايا
ورب جاهل لقد تعلما ... لا يأيسن نائم أن يغنما
من غنم الفرصة أدرك المنى ... ما فاز بالكرم سوى الذي جنى
الناس إخوان وشتى في الشيم ... وكلهم يجمعهم بيت الأدم
فالبعض منهم كالغذاء النافع ... والبعض كالسم الزعاف الناقع
وهكذا بعض الذوات روح ... والبعض منها في الحشا قروح
ورب شخص حسن في الخلق ... وهو أشد من شجى في الحلق
والدهر صراف له تصريف ... يروج فيه النقد والزيوف
لذاك ضاعت خلص الأحرار ... كضيعة المصباح في النهار
تعادل الفاضل والمفضول ... عر فنا الفضل من الفضول
والاعتدال في الأمور أعدل ... والمسلك الأوسط فيها أمثل
هي المنى مجلبة التعني ... كم عاشق أهله التجني
قد تحرم الآمال حيث الرغبه ... وتسقط الطير لأجل الحبه
المرء تواق إلى ما لم ينل ... وكل شيء أخطأ الأنف جلل
من كان يهوى منظرا بلا خبر ... فماله أوفق من عشق القمر

مضى الصبا فأين منه الوطر ... هيهات هيهات الجناب الأخضر
ميعاد دمعي ذكر أيام الصبا ... وجل شجوي عند هبة الصبا
مضى نشاطي إذ تولى الصحب ... ما أعلم الموت بمن أحب
صبرا على الهموم والأحزان ... فإن هذا خلق الزمان
ثق بالإله كم له صنع حفي ... وهو إذا حل البلا لطف خفي
خذ فرصة الإمكان في إبانه ... واسجد لقرد السوء في زمانه
إن فاتك الغدير فاقصد الوشل ... يرضى بعقد الأسر من أوفى الثلل
حد العفاف القنع بالكفاف ... ما ضاق عيش والإله كافي
من لم تكن أنت له نسيبا ... فلا تؤمل عنده نصيبا
والناس إن سألتهم فضل القرب ... حاولت أن تجني من الشوك العنب
هذا زمان الشح والإقتار ... مضى زمان الجود والإيثار
من كلف النفوس ضد طبعها ... أعيى بما لا يرتجى من نفعها
وإن من خص لئيما بندى ... كان كمن ربى لحتف أسدا
قد يبلغون رتبا في الدنيا ... لكنهم لا يبلغون العليا
إن المعالي صعبة المراقي ... من دونها الأرواح في التراقي
لا تستوي في الراحة الأنامل ... ورب مأمول علاه الآمل
قد تورد الأقدار ثم تصدر ... وتدبر الأقمار ثم تبدر
بالجود يرقى المرء مرقى الحمد ... إن السخاء سلم للمجد
وعوذ النعما من الزوال ... بكثرة الإحسان والنوال
يضوع عرف العرف عند الحر ... وإنه يضيع عند الغمر
وإنما المعروف والصنيعه ... تعرف عند أهلها وديعه
الرأي كل الرأي في ترك الكلف ... فقد مضى عليه سادات السلف
ومن تغر عقله السلامه ... تخدمه ألسنة الندامه
من لزم السلم من الحرب سلم ... ومن أبى إلا هوى النفس ندم
يأرج بالنسيم عرف الرند ... والقدح أصل في ثقوب الزند
لكل قلب في طلابه هوى ... وقس عليه الداء يحتاج الدوا
من طلب الدر بقعر البحر ... لم يخل من شرب الأجاج المر
دع في الأمور الحدس والظنونا ... لابد للمقدور أن يكونا
ما قيمة الآمال للقصاد ... والموت للإنسان بالمرصاد
إذا بقي من الجدى ما قانك ... فلا تكن تأسى على ما فاتك
رب اجتهاد دونه الجهاد ... في راحة من لا له مراد
ما ينفع التدبير والتقدير ... ينبض قوسه ولا توتير
قراقع ما تحتهن طائل ... إلا محاق العمر والغوائل
قد ذهبت مكارم الأخلاق ... إلا من الأمثال والأوراق
تغير الإخوان واختل الزمن ... فلا صديق غير صحة البدن
لا تكتمن داءك الطبيبا ... ولا الصديق سرك المحجوبا
هذا إذا كانا عسى وعلما ... وما أظن الدهر يسخو بهما
كفى عن المخبر منظر أطل ... في حمرة الخد غنا عن الخجل
منظر كل ماجد معياره ... إن الجواد عينه فراره
من سابق الجواد بالحمار ... جنت يداه ثمر العثار
قد تسعف الأقدار بالسعود ... فتلحق المحدود بالمجدود
كم قد نصبت للأماني مرمى ... مفوقا مني إليه سهما
فلم يكن لي عنده نصيب ... ما كل رامي غرض يصيب
والسعد إن ما كان حينا أبطا ... فلا تقل بأنه قد أخطا
إذ ربما قد عوقته الأقدار ... وكل شيء عنده مقدار

في يدك الحزن متى تشاء ... فاغنم سرورا تركه عناء
ما كل وقت مسعف بما يحب ... فإن يكن درت لبون فاحتلب
من يطلب الخلاص ناله الأسى ... وفي خطوب الناس للناس أسى
حب الثنا طبيعة الإنسان ... والشكر موقوف على الإحسان
الجود بالموجود عنوان الشرف ... ومن أضاف لم يبال بالسرف
من يتلقى الجود بالجحود ... عرض نعماه إلى الشرود
للود عقد ذمة لا تهمل ... وللرجاء حرمة لا تجهل
سالف ما كان من الحرمات ... يستوجب العفو عن الزلات
بالفحص عن خواطر الأحبه ... ينسج برد الود والمحبه
إن الرقيب يمنع التراضي ... كالخصم قد يرضى ويأبى القاضي
حتى متى أصبو ورأسي شمط ... أحسب أن الموت باسمي يغلط
ليس على فقد الحياة من ندم ... قد استوى الوجود فيها والعدم
كل نعيم فإلى فناء ... وكل عيش فإلى انقضاء
عليك يا هذا الفتى بالتوبة ... فانج بها قبل انتهاء النوبة
ومن نفثاتي قولي:
للقلب ما شاء الغرام ... والجسم حصته السقام
وإذا اختبرت وجدت مح ... نة من يحب هي الحمام
عجبا لقلبي لا يمل ... جوى ويؤلمه الملام
وأبيك هذي شيمتي ... من منذ أدركني الفطام
إني أغار على الهوى ... من أن تؤمله الأنام
وأروم من حدق الظبا ... نظرا به حتفي يرام
أفدي الذي منه يغا ... ر إذا بدا البدر التمام
فعلت بنا أحداقه ... ما ليس تفعله المدام
إن شط عنك خياله ... فعلى حشاشتك السلام
أأخي من يك عاشقا ... فعلى م يجفوه المرام
إني بليت بمحنة ... هانت بها النوب العظام
حتى لقد عميت علي ... مسالكي ودجا القتام
صاحبت ذلي بعد أن ... قد كان تفخر بي الكرام
والمرء يصعب جهده ... ويلين صعدته الصرام
لا تتهمن تذللي ... فالتبر معدنه الرغام
وإذا جفاني من هوي ... ت صبرت حتى لا أضام
فعبوس أردية الحيا ... عقباه للروض ابتسام
ولئن وهت لي عزمة ... فلربما صدي الحسام
فعسى الذي أبلى يعي ... ن وينقضي هذا الخصام
وقولي:
بأبي وإن كان الأبي صميدحا ... خلقت يداه للشجاعة والندى
ملك كريم كالنسيم لطافة ... فإذا دجا خطب قسا وتمردا
راجعته في أزمة فكأنما ... جردت منه على الزمان مهندا
كالبحر ينعم بالجواهر ساكنا ... كرما ويأتي بالعجائب مزبدا
والهام تسجد خشية من سيفه ... لما أبت أربابها أن تسجدا
لا تعجبوا إن لم يسل منهم دم ... فالخوف قد أفنى النفوس وجمدا
وقولي:
مذ قعقعت عمد للحي وانتجعت ... كرام قطانه لم ألق من سند
مضى الألى كنت أخشى أن يلم بهم ... ريب الزمان فلا أخشى على أحد
فأفرخ الروع أن شالت نعامتهم ... وأفسد الدهر منهم بيضة البلد
ومن المقطعات قولي:

وشادن قيد العقول وجهه ... وصدغه سلسلة الآراء
شامته حبة قلب مذ بدت ... جنت بها الأحشاء بالسوداء
وقولي:
لا بدع أن شاع في البرايا ... تهتكي في الرشا الربيب
عشقي عجيب فكيف يخفى ... وحسنه أعجب العجيب
وقولي:
بي من إن عاينته مقلتي ... ينمحي جسمي ويفنى طربا
أي شيء راعه حتى انثنى ... هاربا مني وولى مغضبا
وقولي معميا باسم أحمد:
وارحتما لمعذب قلق الحشا ... بهمومه قد بان عنه شبابه
دم قلبه ما ساقطته جفونه ... يوم النوى لما نأت أحبابه
وقولي:
وليس سقوط الثريا إلى ... نداء الموالي من المنكرات
فإن الشموس إذا أسفرت ... فلا حظ للأنجم النيرات
وقولي من الرباعي:
قد قلت لسحر طرفه إذ نفثا ... من شاهد إذا في أهله ما لبثا
إذ يكسر جفنيه لكي يعبث بي ... سبحانك ما خلقت هذا عبثا
وقولي:
لله صب مدح معشوقه ... ديدنه متبع نهجه
يفرح إن وافاه في محفل ... كمذنب قامت له حجه
وقولي في دعوة ماجد:
بيتي وكلي ملك من يده ... فوق الأيادي دأبها المنح
فإذا انتدبت لأمر دعوته ... قالوا طفيلي ويقترح
وقولي:
قد جئت دارك زائرا بهجا ... يا من به قد أشرق النادي
رجلي إليك مطيتي ولها ... قلبي دليل والثنا حادي
وقولي:
للروض روا طلق المحيا نضر ... لو تم بكم كما رجونا وطر
فالورد إلى الطريق أصغى أذنا ... والنرجس عينه غدت تنتظر
وقولي:
مضى الألى برائق الشعر وما ... أبقوا لنا في كأسنا إلا العكر
تمتعوا بحشو لوزينجهم ... وقد حرمنا نحن من حشو الأكر
وقولي:
وظبي أفكر في تيهه ... فلا يحظر الوصل في خاطري
حباني مجرد وعد له ... كليلي عليه بلا آخر
وقولي:
إذا النسيم جرر ذيله على ... ساحة روض فتحت أزهاره
فنشره من الثناء نفحة ... يثنى على المزن بها نواره
وقولي:
جاء الربيع الطلق فانهض محرزا ... صفو نعيم حقه أن يحرزا
وانظر بساطا من نسيج نبته ... منبتا بوشيه مطرزا
وقولي:
إن يكن قطر من ريقه ... ماء ورد لحياة الأنفس
فلقد أبدى لنا من وجهه ... عرق الفتنة عطر النفس
عطر الفتنة: من العطريات المجلوبات من الهند.
وقولي :

وشادن أزهى من الطاووس ... في عشقه منية النفوس
أبدى لنا من الثنايا فمه ... سينا عسى تكون للتنفيس
وقولي:
ألا لا تخش من صفع ... ولا يأخذك إيحاش
تنل شاشا بعشرتنا ... فشاش قلبه شاش
وقولي:
كم حيلة أعملتها فلم تفد ... لكن دعتني للهدو والرضا
إذا مطايا العزم أخلت برهة ... سلم زمامها إلى يد القضا
وقولي:
كانت بقلبي غلة ... حراء للرشاء الممنع
حتى دنوت لثغره ... فرشفته والرشف أنقع
الرشف أنقع: مثل، أي أن الشراب الذي يرتشف قليلا قليلا أقطع للعطش وأنجع، وإن كان فيه بطء.
وقولي:
من صفوة الخلق مليح وجهه ... جامع حسن متقن الصناعه
قد خط محرابان في قبلته ... لما اقتضته كثرة الجماعه
وقولي:
في الروض جرى زلال ماء ... عن أحسن منظر يشف
أحداق لجينه عليها ... أهداب زبرجد ترف
وقولي:
من كان مذكورا بعشق الظبا ... بلا خلاف للنهى حالفا
ومن يكن خالف في أمره ... فغير مذكور وإن خالفا
وقولي:
كم شدة حملت ثقل خطوبها ... ليست لمحملها الجبال تطيق
ما كنت أضبط للزمان نوائبا ... أيعد أمواج البحار غريق
وقولي:
وإذا قصدت حماك يدعوني إلى ... ساحات نائله النعيم المخضل
أمشي بقلبي لا برجلي إنما ... تمشي بحيث هوى القلوب الأرجل
وقولي في تهنئة بدار لماجد:
مولاي يهنيك ما أثرت من أثر ... أعطاك ربك فيه غاية الأمل
بنيت دنياك في دار جمعت بها ... كل الخلائق من علياك في رجل
وقولي:
وكم لي من روض فضل لقد ... تفيأت فيه ظلال الكرم
تعرفته بثناء الندى ... وعرفته بنسيم النعم
نسيم النعم:هو الشكر. وهو من مبتدعات البحتري، وكان الصاحب يستحسنه.
وقولي:
غنيت وقد شاهدت أحسن منظر ... من الروض عما يصطفيه جنان
فأزهاره وشي وسلسل مائه ... سلاف كؤوس والطيور قيان
وقولي:
ثقيل روح أنكروا وطأه ... نرجس روض حف بالسوسن
فقلت غضوا الطرف عن وضعه ... فإنه يمشي على الأعين
وقولي:
شعري إذا أبديته لعصابة ... تلقاهم لنشيده لا يحسنوا
كالعطر تجلبه لأنطاكية ... فتراه يفسد ريحه بل ينتن
ذكر هذا الثعالبي، في الباب السادس والأربعين، من ثمرات القلوب، عند ذكر نعمة المدينة، ونص عبارته نقلا عن الجاحظ: " ورأيت بلدة يستحيل فيها العطر ويفسد، وتفسد رائحته، كقصبة الأهواز وأنطاكية " .
وقولي:

أنعم صباحا في ظلال روضة ... تدعو إلى النشوة حسنا وبها
لما غفا فيها النبات سحرة ... دغدغه نسيمها فانتبها
وقولي:
أهوى تباعده والفكر يدنيه ... ضدان ما جمعا إلا لتمويه
فما تقربه مني محاسنه ... ولا تبعده عني مساويه
وقولي:
نفر في الدين مذ عبثوا ... بعدوا عن خيره الزاهي
فهم ما بين أظهرنا ... فضض من لعنة الله
روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها، أنها قالت لمروان: " أنت فضض من لعنة الله " .
وقولي:
أرى جسمي تحط به البلايا ... وما شارفت معترك المنايا
فإن أبقاني المولى فأرجو ... بقايا منه في عمري نقايا
معترك المنايا: هو ما بين الستين إلى السبعين، من سني أعمار الناس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أكثر أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين " .
ومن مفرداتي:
ما كل دار آنست دار الحمى ... أو كل بيضاء الطلى أسماء
وقولي:
ولي ألف وجه في مخالطة الورى ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
وقولي:
وليس عجيبا ما بجسمي من الضنى ... ولكن حياتي يا ابنة القوم أعجب
وقولي:
إن الكرام إذا اختشوا ند العلى ... جعلوا لها سمط القريض قيودا
وقولي:
وما الدهر من أصله فاسد ... ولكن فساد الورى أفسده
وقولي:
قل للذي همه الفخار ... من دون ذا ينفق الحمار
وقولي:
إذا تناءت قلوب ... لا كان قرب ديار
وقولي:
ما خص ذو الجهل الدني برتبة ... إلا كما خص الختام بخنصر
وقولي:
نعيم المرء ثوب مستعار ... وفي الماضي لمن يبقى اعتبار
وقولي:
من رام من حساده نصرة ... كان كمن في النار يطفي الأوار
وقولي:
محصول ودك في رضاك محصل ... شرح القصائد في الوجوه ملخص
وقولي:
غصص الحياة كثيرة ولقد ... تنسي الحوادث بعضها بعضا
وقولي:
إن زاحمتك نوائب ... زاحم بعود أو دع
وقولي:
عين أصابت شملنا لا رأت ... شملا على طول المدامع يجمع
وقولي:
كلامه في وعيدي ليس يجرحني ... إن الوعيد سلاح العاجز الحمق
وقولي:
لك الود والإخلاص من قلب صادق ... وأبعد ما حاولت قلب الحقائق

وقولي:
صدقوا ولكن لست ممن يقبل ... ليس المخاطب في الورى من يعقل
وقولي:
ومن لم يشكر النعماء يوما ... وأنكرها فقد رضي الزوالا
وقولي:
ولا خير فيمن غير البعد قلبه ... ولا في وداد غيرته العوامل
وقولي:
لا شيء أجرى لدموع عاشق ... من فرقة الأحباب والمنازل
وقولي:
مطلتني ثم أدعيت السخا ... والمطل مولود من البخل
وقولي:
أنا والمنية في وجل ... من سحر هاتيك المقل
وقولي:
إذا لم أذق غير هجر الظبا ... فمن أين أعرف طعم الوصال
وقولي:
كنت مستأنسا إلى كل شخص ... فأنا الآن نافر من خيالي
وقولي:
بين اللواحظ والمتون ذمام ... سبب لأن تفنى به الأجسام
وقولي:
كل نار غير نار ال ... عشق برد وسلام
وقولي:
الشيء يظهر في الوجود بضده ... لولا الضرورة ما استبان المنعم
وقولي:
تكتم المغرم لا يمكن ... وسلوة العاشق لا تحسن
وقولي:
ما كل ما تحذر بالكائن ... قد ينزل المكروه بالآمن
وقولي:
لا عذب الله متيما بما ... لقيته من كثرة التجني
وقولي:
إن الرجال لهم وسائل للمنى ... ووسيلتي حب النبي وآله
وقولي:
إن تكن صحبتي تنفيت عنها ... أي أحدوثة تحب فكنها
وقولي:
بالصبر يرقى المرء أوج العلى ... إن التأني درج للرقا
وهنا جف القلم، وقد أدى ما عليه فلم يلم.
وقد رأيت أن أختم الكتاب بهذين البيتين، وأنا مستشفع في إصلاح أحوالي بصاحب القبلتين.
وهما:
لئن ضاقت بي الأيام ذرعا
خلصت من الأماني في حياتي
وقد أثبت له ما تشتم عرف المسك من نفحته، وترى الإحسان مرتسما في صفحته.
فمنه قوله في النعل الشريف:
لمثال نعل الهاشمي محمد ... جادت جفوني بالدموع الذرف
وبكاي من فرط الأسى ولو أنني ... أقضي وحق جلاله لم أنصف
أوطأته خدي وقلت تعززي ... ما شئت يا نفسي بهذا وأشرفي
وتمسكي أبدا بحب محمد ... فعساك أن تنجى به في الموقف
صلى عليه الله ما جن الدجى ... وبدا الصباح ولاح نجم أو خفي

فهو الشفيع لمن تعاظم ذنبه ... يوم الحساب ويوم نشر المصحف
؟أبو محمد الحسن بن أحمد الفيومي المراكشي
أحد مشاهير الكتاب بباب المنصور، الذين خدموا سناه الممدود والمقصور.
تجملت سلطته بآثار ملكاته، حتى غدا نخبتها صدفا للآلي كلماته.
فاشتملت عليه اشتمال الروض على النسيم، وتبسمت أيامه تبسم ثغر الأمل عن الوجه الوسيم.
فاكتسب بهذا الانتماء أجل شهرة، وأوجب عليه شكر هذه النعمة دهره.
وهو إذا كتب باهت رقاعه البدور، وحلت من الزمان محل العقود من الأجياد والقلائد من الصدور.
وله لسان يصف بالعي لسان ابن الخطيب، وبنان كأنما تملي عن زهر الغصن الرطيب.
وشعره كالروض طال ريا، فطاب ريا.
فدونك منه قطعة نورها نور تجسم، وكل غصن منها ثريا ترسم.
وهي قوله، وكتبها في بعض مباني الوزير عبد العزيز الفشتالي:
أجل المعلى من قداح سروري ... وأدر كؤوس الأنس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسني ... فكست به الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشي المفوف حلتي ... نسق الشذور على نحور الحور
شاد القصور قصورها عن رتبة ... لي بالسنا الممدود و المقصور
في المبتنى المراكشي وأفقه ... أزرى على الزوراء والخابور
أعلى مقامي البارع الأسما الذي ... قد حاز سبق النظم والمنثور
فإذا أقل بنانه أقلامه ... نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب ... سر الخليفة أحمد المنصور
لا زال في أمن ويمن ما شدت ... ورق بروض بالندى ممطور ؟

عمر بن علي فكرون نزيل القاهرة
مصباح فهم متقد، وبرهان علم لكل معاند منتقد.
ازدهت بعصره الأعصار، وباهت به مصر جميع الأمصار.
إذا قدح زند فكره أورى بشرر يحرق الجهل، وإن طما بحر خاطره عم الجبل والسهل.
مع نزاهة التف بكساها، ونباهة ألغى بها نباهة جيله وأنساها.
وله أدب واسع مداه، ريان كالروض بلله نداه.
وشعر كماء العنقود في جامه، وقطر الندى في حسن انسجامه.
فمنه قوله من قصيدة:
طلع الهلال وأفقه متهلل ... فمكبر لطلوعه ومهلل
أوفى على وجه الزمان بغرة ... فغدا الصباح بنورها يتحمل
وزهت غصون البان في روضاتها ... وافتر من ثغر الأقاح مقبل
والورق غنت في الرياض وغردت ... لحنا بمعربه الفؤاد مبلبل
منها في المديح:
بحر التفضل والتكرم والندى ... وله كمال مجمل ومفصل
جعل العدالة شأنه وشعاره ... والسعد يمضي ما يقول ويفعل
نطق الزمان بمدحه وبحمده ... وبذاك ألسنة الورى لاتغفل

ابراهيم بن محمد السوسي الإنسي
ظرف رشاقة وظرف وحبة فؤاد وإنسان طرف.
فهو نور حدقة الناظر، ونور حديقة الغصن الناضر.
روح طبعه بروح الشمول والشمال، فنبغ وله الفضل أحسن ما صور صورته الكمال.
وله في الشعر أفانين، أطرب من رنات القوانين.
فمن شعره قوله في الغزل:
يا من رماني بسهم اللحظ في مضى ... أوحشتني وحشوت القلب جمر غضا
كسرت قلبي بتكسير الجفون كما ... نصبت حالي لأسهام الجفا غرضا

فكم نصبت لك الأشراك في حلم ... لعل طيفك وهنا في الكرى عرضا
وأضرم النار بالذكرى على علم ... من مهجتي يهتدي بالنار حيث أضا
إن قست وجهك بالبدر المنير على ... غصن على كثب الجرعاء ذات أضا
لله ظبي حشا بالسحر مقلته ... فكم جليت به أستاره حرضا
في فيه عين وعين فيه جوهرة ... من الحياة وبرق للمنى ومضا
وقوله:
لا غزو إن كنت تجفو الإنس يا رشأ ... فمن خصال الظبا أن تنفر البشرا
يا ليتني كنت وحشيا أنزه في ... مفتون وجهك في سقط اللوى نظرا
وكتب إليه بعض الأدباء:
يا أبا إسحاق قل لي موجزا ... أي شيء مبرد حر النوى
قد أبت إلا سهادا مقلتي ... وانسكاب الدمع شوقا للوى
فأجابه بقوله:
زارني روض بيان سحرا ... جامع بين رواء وروى
تتهادى في الحشا نفحته ... طلبت مني دوا داء النوى
قلت عن طب وما يعزى لمن ... جرب الأمر عليه بالدوا
عرق وصل ونبات الصدر من ... ماء ثغر أشنب كل سوا
فاسحقنها بمهاريس اللوى ... وأشربنها بكؤوس من هوى
فهو ترياق لأمراض النوى ... مطفئ بين الحشا جمر الجوى

محمد بن يوسف التاملي

من أعيان المغرب علما ونفاسة، إذا ذكر سناؤه عطر نسيم الرياض بعرفه أنفاسه.
مراميه الآخذة للقلوب مصمية لأغراضها، وعيون أشعاره مادة الفتون في صحاح الأجفان ومراضها.
أوتي نصاعة المقترح وطلاوة اللسن، فوقف البيان حائرا على كلامه لما رآه جامع القول الحسن.
وقد ذكرت له ما تهفو إليه القلوب والضلوع، وتسابق إليه الخواطر وبواعثها التوله والولوع.
فمن ذلك كتاب كتبه إلى أبي العباس المقري: إلى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق، وطلعت شموس معارفه في غاية الإشراق، وصار له في ميدان الكمال حسن الاستباق.
إمام العصر، بجميع أدوات الحصر.
سلام من النسيم أرق، وألطف من الزهر إذا عبق.
وبعد؛ فأخباركم ترد علينا، وتصل دائما إلينا، بما يسر الخاطر، ويقر الناظر، مع كل وارد وصادر.
كتبت إليكم من الحضرة المراكشية مع كثرة أشواق، لا تسعها الأوراق.
كتبكم الله فيمن عنده، كما جعلكم ممن أخلص في موالاة الحق قصده.
وودي إليكم غض الحدائق، مستجل في مطلع الوفا بمنظر رائق، لا يحيله عن مركز الثبوت عائق.
وحقيق بمودة ارتبطت في الحق وللحق معاقدها، وأثبتت على المحبة في الله قواعدها؛ أن يزيد عقدها على مر الأيام شدة، وعهدها وإن شطر المزار جدة، وأن تدخر للآخرة عدة.
وإني لمن يعتقد موالاتكم عملا صالحا يقرب إلى الله ويزلف إليه ويعتمدها أزرا يعول في الآخرة يوم لا ظل إلا ظله عليه.
فإنكم واليتم فأخلصتم في الولا، وعرفتم الله فقمتم بحقوق الصحبة على الولا.
معرضين عن غرض الدنيا وعرضها، معرفين بشروط نفلها ومفترضها.
إلى أن قضى الله بافتراقكم وحقوقكم المتأكدة دين علينا، والأيام تمطل بقضائها عنا وتوجه الملام إلينا.
فآونة أقف فأقرع السن على التقصير ندما، وآونة أستنيم إلى فضلكم فأتقدم قدما.
وفي أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق، إلا وقد كر عليه فيكم آخر لاحق.
حتى وقفت موقف العجز، وضاقت علي العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكدت لا أتكلم إلا بالرمز.
إجلالا لحقكم الرفيع، وإشفاقا من التقصير المضيع.
إلى أن قال: وبالجملة ففؤادي لمجدكم صحيح لا سقيم، واعتدادي بودادكم منتج غير عقيم.
والله تعالى يجعل الحب في ذاتكم الكريمة، ويقضي عن الأحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه.
وصحبة هذا الكتاب قطعة أرجوزة هي قوله:
لله در العالم الجياني ... كأنما ينظر بالعيان

للمقري العالم المفضال ... منظرا بأحسن المثال
وعالم بأنني من بعده ... أشير في نظامنا لقصده
وها أنا بالله أستعين ... مضمنا وربنا يعين
بالشطر من ألفية ابن مالك ... أيدنا الله لنسج ذلك
قال محمد عبيد المالك ... وسالك الأحسن من مسالك
نشير بالتضمين للنحرير ... المقري الفاضل الشهير
ذاك الإمام ذو العلاء والهمم ... كعلم الأشخاص لفظا وهوعم
فلن ترى في علمه مثيلا ... مستوجبا ثنائي الجميلا
ومدحه عندي لازم أتى ... في النظم والنثر الصحيح مثبتا
أوصاف سيدي بهذا الرجز ... تقرب الأقصى بلفظ موجز
فهو الذي له المعالي تعتزي ... وتبسط البذل بوعد منجز
رتبته فوق العلى يا من فهم ... كلامنا لفظ مفيد كاستقم
وكم أفاد دهره من تحف ... مبدي تأول بلا تكلف
لقد رقى على المقام الطاهر ... كطاهر القلب جميل الظاهر
وفضله للطالبين وجدا ... على الذي في رفعه قد عهدا
قد حصل العلم وحرر السير ... وما بإلا أو بإنما انحصر
في كل فن ماهر صفه ولا ... يكون إلا غاية الذي تلا
سيرته جرت على نهج الهدى ... ولا يلي إلا اختيارا أبدا
وعلمه وفضله لا ينكر ... مما به عنه مبينا يخبر
يقول مرحبا لقاصديه من ... يصل إلينا يستعن بنا يعن
صدق مقالاتي وكن متبعا ... ولم يكن تصريفه ممتنعا
وانهض إليه فهو بالمشاهده ... الخبر الجزء المتم الفائده
والزم جنابه وإياك الملل ... إن يستطل وصل وإن لم يستطل
واقصد جنابه ترى مآثره ... والله يقضي بهبات وافره
وانسب له فإنه ابن معطى ... ويقتضي رضا بغير سخط
واجعله نصب العين والقلب ولا ... تعدل به فهو يضاهي المثلا
قد طال ما أفاد علم مالك ... أحمد ربى الله خير مالك
وحاسد ومبغض له زمن ... وهالك وميت به قمن
وليس يشفى مبغض له أعل ... معنى وفي هراوة جعل
يقول عبد ربه محمد ... في نحو خير القول إني أحمد
وهو بدهره عظيم الأمل ... مروع القلب قليل الحيل
فادع له وسادة قد حضروا ... وافعل أوافق نغتبط إذ تشكر
واجبره بالدعا عساه يغتنم ... فجره وفتح عينه التزم
أنشدت فيكم ذا وقال قائل ... في نحو نعم ما يقول الفاضل
أدعو لكم بالستر في كل زمن ... لكونه بمضمر الرفع اقترن
مآثر لكم كثيرة سوى ... ما مر فاقبل منه ما عدل روى
قد انتهى تعريف ذا المعرف ... وذو تمام ما برفع يكتفي
لأنتم تاج الأئمة الأول ... وما بجمعه عنيت قد كمل
فالله يبقيكم لدينا وكفى ... مصليا على الرسول المصطفى
تترى عليه دائما منعطفا ... وآله المستكملين الشرفا

حسن بن مسعود اليوسي المراكشي

شيخ حسن السمت، سليم الطبع عن العوج والأمت.
تلقيت خبره من الرواة، فرأيت له ثناء حسنا يعطر الأسماع والأفواه.
هم مستغن في حد ذاته عن زيادة الأوصاف، وله شعر نعته بالحسن من مراعاة الإنصاف.
فمنه قوله، لما دخل فاس فلم يلق فيها مبرة، ولم ير من أهلها إلا تهلل أسرة.

فبقي فيها مثلول العرش، بل أقل من همزورش:
ما أنصفت فاس ولا أعلامها ... قدري ولا عرفوا جلالة منصبي
لو أنصفوا لصبوا إلي كما صبا ... راعي سنين إلى الغمام الصيب
أشار إلى قول الشاعر:
وحديثها كالقطر يسمعه ... راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ... ويقول من فرح هيا ربا
فصل للميكالي: أنا أولى بالحمد وقد لحظت مواقع أنامله، وشققت بوارق فضائله، من راعي القفر وقد رأى القطر سكبا، بعد سنين تتابعت جدبا.
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ... ويقول من فرح هيا ربا
ولليوسي:
على رسلكم يا أهل فاس فإنني ... فتى لست بالفدم الغبي ولا الغمر
أنا الصارم الماضي ويا رب نافث ... يخلق في البحث الأديم ولا يفري

يحيى بن محمد الشاوي الجزائري نزيل مصر
منتهى الكلام، وخاتمة الأعلام.
الجهبذ النحرير، مالك أزمة التقرير والتحرير.
فاق أهل الآفاق، وانعقد على تفرده الوفاق.
فهو المقرر ببرهان التطبيق توحيده، فلا تمانع فيه إلا من معاند علم مرجعه عن الحق ومحيده.
فكل منهل ينضب إلا منهله الزاخر، وكل قدرة تلتقي طرفاها إلا قدرة بنانه التي أعيى الأول منها الآخر.
إذا استخدم القلم أبدى سحر العقول، وإن جرت على لسانه الحروف وفق بين المعقول والمنقول.
وعلى الجملة فهو كما قيل: لو باراه سحبان سحب ذيل الخجل، أو ماراه صعصعة تصعصع قلبه من الوجل.
أو بارزه الفرزفرز سحره، أو جاراه ابن بحر غاض بحره يخل لسان الخليل في عينه، ويدرد ابن دريد بإظهار مينه.
ويوهي سيبويه نحوه، ويطفيء نار نفطويه محوه.
ويهشم أنف أبي هاشم في اعتزاله، ويتجنب الجبائي صولة انخزاله.
مرهف طبعه مشجذ قاطع، ووجهه إقباله كأنما صور من نور ساطع.
يلمع نور العلم في جبينه، وفضله لا يخفى على مستبينه.
سريع الجواب، ظاهر الصواب.
معجز ببيانه، مفيد في كل أحيانه.
إلا أن طبعه أحر من القيظ، وإذا غضب يكاد يتميز من الغيظ.
وله تآليف هطلت سحب إفادتها الذوارف، فأضحى بها وهو العلم الفرد أعرف المعارف.
وهو أجل من أخذت عنه العلوم، واقتبست من فوائده ما ترسخ به طائشات الحلوم.
وذلك بالروم حين وردها ثانيا، وأنا مقيم بها أسامر آمالا وأمانيا.
ولدي شوق يطيرني إليه، ووجد يقتضي أن أرمي لهفتي عليه.
فغنمته برهة من الدهر، أتلو سور مدائحه في السر والجهر.
وقد كتب لي إجازة بخطه، هاهي مزينة بضبطه: الحمد لله الحميد، والصلاة والسلام على الطاهر المجيد، وعلى آله أهل التمجيد،
أجزت الإمام اللوذعي المعبرا ... أمينا أمين الدين روحا مصورا
سليل محب الدين بيت هداية ... وبيت منار العلم قدما تقررا
بإقرائه متن البخاري الذي به ... تقاصر عنه من عداه وقصرا
موطا شفاء والشفاء كمسلم ... إذا مسلما تقريه حقا تصدرا
وباقي رجال النقل حقا مبينا ... وتفسير قول الله في الكل قدرا
أجزت المسمى البدر في الشرع كله ... كما صح لي فاترك مراء تكدرا
وعلم كلام خاليا عن أكاذب ال ... فلاسفة الضلال والعدل نكرا
أقول لكل فلسفي يدينه ... ألا لعنة الرحمن تعلو مزورا
أجبريل فلك عاشر يا عداتنا ... أعادي شرع الله نلتم تحيرا
بأي طريق قلتم عشر عشرة ... ونفى صفات والقديم تحجرا

حكمتم على الرحمن حجرا محجرا ... ومنعكم خلق الحوادث دمرا
أبري الحبيب اللوذعي عن الردى ... مجازا بدين الشرع كلا محررا
ولكن عليه النصح والجد والتقى ... وإن ناله أمر القضاء تصبرا
حماه إله العرش من كل فتنة ... ونجاه من أسواء سوء تسترا
وصل وسلم بكرة وعشية ... على من به حي القلوب تحيرا

خاتمة

وهنا وقفت بي مطية السير، وختمت الكلام راجيا من ربي خاتمة الخير.
ولما فرغت من جمعه، وجعلته هدية لناظر الدهر وسمعه.
التفت إليه فشاقني، وحدا بي نحو الإعجاب وساقني.
فأقول كما قال ابن الخطيب، لا برح ذكره يعبق ب " عرف الطيب من غصن الأندلس الرطيب " : لما رأيت من ذكر فيه قد تخلدت آثارهم، وشنف أذن الزمان نظامهم ونثارهم،نافستهم في اقتحام تلك الدور،وقنعت باجتماع الشمل ولو في خلال السطور.
وحرصت على أن أنال منهم قربا، وأخذت أعقابهم أدبا رحبا، كما قيل: ساقي القوم آخرهم شربا.
والله سبحانه يدبر أمري، ويحسن بفضله آخر عمري.
ويسترني في هذه البقية، ويجعلني من خلص هذه البيضاء النقية.
فقد بقي في إناء العمر صبابة من شراب، فلعلي لا أريقها في يوم هاجرة للمع سراب.
وإذا نزل بي الموت، وفات في أجلي الفوت، لا يعدمني من يترحم علي؛ ويهدي ثواب فاتحته إلي.
فمبدأ حالي، وما أفضى إليه نزولي وارتحالي، قد صرحت به تارة وعرضت أخرى، فرأيت ترك التعرض له هنا أولى وأحرى.
وإنما أذكر هنا بعض فضول الكلام، قصدت أن أنسلك بها في سلك هؤلاء الأعلام.

فهي إن لم تكن مما يخطبه الخاطب، فلتكن مما يحتطبه في ليل سطوره الحاطب.
فمن ذلك فصولي القصار، وقد ذكرتها مقتصرا على زبدها غاية الاقتصار: في الأحاديث صحيح وسقيم، ومن التراكيب منتج وعقيم.
للنفوس صبابة بالغرائب، وإن لم يكن من الأطايب.
قال بعض أهل العرفان: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكران الروض إن لم يشكر الغمام بعرفه، ففي وجهه شاهد من عرفه.
شفاعة اللسان، أفضل زكاة الإنسان.
إذا ما سقط الرجا، فالناس كلهم أكفا.
لله ألطاف غنية عن البيان، وهو مع تنزهه عن الحوادث كل يوم في شان.
وللدهر نسخة تعرب عن الأقدار، وحجة القضاء بيننا هي مسودة بالليل نراها مبيضة بالنهار.
فبينا تراه كليالي المحاق لا شموس ولا أقمار، أعقب ليالي مقمرة وأياما مشمسة تسر القلوب والأبصار.
من تواضع رقي لمراتب السلف، فإن التواضع كما قيل سلم الشرف.
العلم مع المنخفض والآبي، كالماء مع الوهاد والروابي.
من لم يكن بالفضل ذا رجحان، يميل بالخفة مثل الميزان.
إذا زاد قرينك في الترقي، فزد أنت من شره في التوقي.
ليست الأذناب كالأعراف، ولا الأندال كالأشراف.
إذا صحبت فاصحب الأشراف تنل التشريف، فإن المضاف يكتسب من المضاف إليه التنكير والتعريف.
السلعة على قدر الثمن، والحركة على قدر تنشيط الزمن.
أعوذ بالله من الكساد، فإنه أخو الفساد.
إنجاز وعد بإنجاح الندى، أحسن من نور يفتحه الندى.
تمتلي الغدران إذا همى السحاب، فكأن الغدر فذلكة والسحاب حساب.
تتبع الأمر بعد الفوات تغرير، وتركه إذا أقبل عجز وتقصير.
إذا ساعد الدهر على سرور فواته، واغتنم منه وقتا سر قبل فواته.
السرور إذا دعوته ينجاب، والكدر ما إن دعوته أجاب.

أعمار الكرام مشاهرة، وأعمار اللئام مداهرة.
للود حق، يدعى به الباطل فيستحق.
وللخلة ذمام، تتأخر به المعدلة وهي أمام.
قيام النفوس بالوداد، أولى من قيام الأجساد للأجساد.
ما من يعاند الحق ببهتانه، إلا كمن يسابق العتاق بأتانه.
ليس لإرشاد البهائم سبيل، والحمير لا تعرف طعم الزنجبيل.
أعجب الأشياء فاسق يبحث في الحلال والحرام، وآلمها للقلب مجالسة اللئام للكرام.
إخوان هذا الزمن عراهم الخلل، وكانوا على صحة فداخلتهم حروف العلل.
أكثر أبناء الزمان أحداث، وهم مع أحداثه أحداث.
في أولاد الزنا كثرة، ولعين الزمان نظرة.
حالي مع أبناء الدهر كمودع الريح في أكمام العريان، وواضع المصباح في رواق العميان.
أنا وإن بقيت في خلف أجرب، فإني بالصبر جذيلها المحكك وعذيقها المرجب.
نام بمهد الخمول حظ زماني، فليته كان يحلم بطيف الأماني.
على الأيام من حزني عن قدح العزمات سلام حملته مرسلات النسمات.
لما برد قلبي أيقنت بالنجح، ودلني ذلك كما دل برد النسيم على الصبح.
الأكمام تبشر بالأزهار، والفجر يجيء طليعة للنهار.
نسبة الكريم إلى الكرام، نسبة الرياض إلى الغمام.
الضامن غارم، وعدات آلى السماح مغارم.
الجود حارس الأعراض، والبخل غارس الأغراض.
الكريم تثني عليه وفود الركائب، ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب.
السخي من إذا تبرع، عف مال الورى وتورع.
الرزق من الكريم تسخير، وله وقت يأبى التقديم والتأخير.
رزق أهل الفصاحة مسجون، وحديث قلة حظهم شجون المشجون.
يمسح قذى العرض النوال، ومناديل الأعراض الأموال.
لا فضيحة أخس من تقطيب الخاذل، ولا عز أحسن من أريحية الباذل.
الكرم أشرف الأحساب، والمودة أقرب الأنساب.
السخاء من خطوب الزمن نعم الواقي، وخير الجزاء للمرء هو الباقي.
خير العروض وقاية الأعراض، وقد تصدق المفاهيم إذا صدقت الأغراض.
لولا خلال سنها الشعر للأكارم، لم يدر بغاة الندى طريق المكارم.
أكثر الكنوز في الخراب، والتبر مطروح مع التراب.
الاقتصاد أسلم لذي المال القليل، والبخل خير من سؤال البخيل.
من افتقر احتقره الناس، والجود سكر خماره الإفلاس.
ما طال لسان المعذرة، إلا لما قصرت يد المقدرة وليس هذا بمحل الكتمان، ورقصي على مقدار إيقاع الزمان.
غير ملوم في الجود من ضاق يدا، فإن الغناء كما قالوا أخو الندى.
جهد المقل في الزمان الجدب، أحسن من عذر المخل العذب.
رضيت بالقضاء إذ ضن دهري بالكفاف، لأجوز بحر الخطوب من جسر الصيانة والعفاف.
الاعتدال في الجود، أحسن من الاعتداء على الموجود.
ومن أمثال الأطبا: من لزم القصد، استغنى عن الفصد.
إنما تضيء دياجي الخطوب إذا تمرطت منها المناكب، بنجوم المعالي المشرقة في سماء المناقب.
مقام القطان في الأوطان، مقام الأرواح في الأبدان.
قلما تصيد في أوكارها الطير، والأهلة لا تصير أقمارا إلا بالسير.
قيل: دون الغيب أقفال، لا يفتحها الزجر والفال. قلت: للغيب أقفال، مفاتيحها التيمن والفال؛ لقولهم: ألسنة الخلق أقلام الحق.
المرء يكلف بالاجتهاد في المطالب، وليس عليه ضمان العواقب.
رب شخص قربه نفع لا يخشى الإنسان معه ضيرا، وقلبه مشحون بنية الخيرات فمن يخطر بباله يلق خيرا.
لم ينتبه من نومه، من لم يستغفر لأمسه من يومه.
لا تقل لذاهب قد ذهب، لكن رددته إلى من وهب.

بقاء الأعمار مبني على الأنفاس، والبقاء الذي يكون على الريح إن تأملته بغير أساس.
ولى عصر النشاط والشبيبة، فاغتنم بقية مع الحبيب والحبيبة.
ولا تنم بعد ذاك العصر عن الفتون، فالنوم بعد العصر كما قيل جنون.
الشيب نذير للجسم بانهدام بنائه، كابيضاض مخضر النبات دليل استحصاده وفنائه.
إذا كانت الأجساد بالقوة فانية، والآجال مع الساعات متدانية، فكل حي يفقد حين يولد، ويعدم حين يوجد.
فأي أنس لنفسي ولا صفو إلا إلى كدر، ولا عين إلا إلى أثر.
إذا وافى الأجل، اصطلح الظن والأمل.
رب مجد في رجا مطالبه، ومن خلفه الآجال تسخر بالمطال به.
المرء طوع المقادير، والاجتهاد إبلاء المعاذير.
كل امرئ بوقته مرهون، ولابد يوما أن تفك الرهون.
من قال: عيون الحوادث نيام، فليخش أن يوقظها له قدر لا ينام.
الدهر تعرف أن اللؤم من أوصافه، فإن شئت الحظوة به كن مثله أو صافه.
الدهر أقصر من أن يقصر بالعتاب، ويا لهفتاه على عمر يكدر بالهجر والاجتناب.
إياك أن تتورط بالأهواء إلى العنا، فإن الغنا كما قيل رقية الزنا.
رب أمل في طي يأس مدرج، ومحبوب في ضمن مكروه مدمج.
ما كل خوطة رطبة المهز، ولا كل ثمرة تجيب داعي الهز.
إذا أعوز الزلال البارد، استقى من الكدر الظمآن الوارد.
وربما ساق الدهر أحرارا، إلى تناول الميت اضطرارا.
ما دامت الأفلاك دائرة، فقد دارت على الزمان الدائرة.
الزمان واهب وناهب، والوجود جاء وذاهب.
لو على الاختيار دارت الأفلاك، لم يكن سوى الحسان الخلق والخلق فيه من الأملاك.
كثيرا ما يزول العشق بجنايات الصدود، والزيادة في الحد نقصان في المحدود.
العاشق من يستعذب الهوى ويلذه، فإن العشق كالخمر أمره ألذه.
إذا لم يتوارد القلبان على مورد واحد، فالعاذل يضرب في حديد بارد.
أمران من غيرهما أمران، لؤم كحد السنان، ولوم كوخز المران.
من لحظني بنظر شذر، بعته بثمن نزر.
ما اغتابني في غيب، إلا ذو عيب.
ولا ذم مني حسن طبع وخيم، إلا من هو صاحب طبع وخيم.
غيبة الأنام، مضغة لفظها الكرام.
واللئيم من لا يحسد ولا يستغاب، فإنه لا يمضغ إلا ما طاب.
إذا وعظتني فلم أنتبه، فلعلك تنتبه أنت به .
يخلص من الشرك، من عقله بالهوى غير مشترك.
من كذب فيما قال، فهو للحق والصدق قال.
من لم يفهم ما يريد، فكيف يفهم ما تريد.
أكثر من يرغب في زيادة الوصف، تراه يكبر من وراء الصف.
مثل ما يروج من الأشعار، عند من لا يدري ميزان الأسعار، مثل الأعاريب لم يروا خبز الحنطة فيكبرون خبز الشعير، والقوم لم يروا لجة البحر فهم يعظمون ماء الغدير.
المادح فيما يتعب فكره فيه من الأشعار، كالمجمرة تعطر غيرها وتتأذى هي بالنار.
من ذا الذي يسمع ما قضيته من الشدة والألم، ولا يقذف القرطاس والدواة والقلم.
ما مثل من رجوته يحرم القصاد، وإنما نحس السؤال قد يعدي الأجواد.
ما بي إذا أحرمني من نواله بأس، إلا أنه أشمته في رجائي منه اليأس.
رب شخص أمضى من عسر بعد يسر، لا تعرف أنه إنسان إلا بأنه في خسر.
وعده ينهك بانتظاره قوى الأمل، ويحقق أنه ليس بإنسان لأن الإنسان خلق من عجل.
كم سمح بيته بالزاد نعم، لكن ليس لما يفعله طعم.
إذا بدا شكله للعيون، فهو أقبح من وثيقة المديون.
رب رجل يعجب الناس وهو صامت، فإذا نطق فكل حاسديه شوامت.

السكوت عن غير الصواب صواب، وترك مماراة الجاهل جواب.
لسان المرء عن عقله ترجمان، فمن زل عقله زل لسانه.
ليس الفضل كله في الجمود، حتى يلتبس الإنسان بالجلمود.
إذا صدر القول عن عربي فلا يضره عجمة ناقل، فما يضر محاسن سحبان أن تجري على لهجة باقل.
ما كل زند زند أبي لهب، ولا كل موزون هو الذهب.
ليس لرجل حطه الله رافع، ولا لأمر شاءه في الخلق دافع.
تخليص المتاب، ينفي خبث العتاب، وحسن الاعتراف، يمحو سوء الاقتراف.
وكتبت إلى بعض الموالي بعد اجتماع وتودد: حضرة المولى، الذي نرى شكره من كل شكر أحق وأولى.
من ابيضت بغرة إقباله الأيام، وأخجل وشي براعته النجوم فتلفعت بأردية الغمام.
لا زالت الألطاف الربانية تغشى بابه، والسعادة الأبدية تملأ رحابه.
ألثم بأهداب مقلتي مواطىء أقدامه، وأقبل بشفتي باسطة موارد خدامه.
وألوذ بسدته لياذ المشفق الشفوق، وأعوذ بأنوار طلعته من ظلمات التقصير والعقوق.
فارقته ولي فؤاد يبغض الجفا كما يبغض الناس الأعدا، ويعشق الوفا كما يعشق الناس الأودا.
وخاطر مملوء بالمحبة التي لا تجاورها الغمة، وناظر زهد عن النظر بعده إلى أحد من الأمة.
وفي عنقي من نعمه طوق، مالي بأداء شكره طوق.
وأنا الآن في عافية لا عيب فيها إلا فقده، ونعمة لا وصمة فيها إلا بعده.
لكن لي من ذكره مرآة أرى وجهه فيها، وأطالع من صورة إقباله ما يشفي القلوب التي عنده أمانيها.
وبين ضلوعي ولاء تشتك أواصره والأنساب منفصمة، وتشرق صفحاته وأسرة الشمس مظلمة.
فما استفتحت إلا بذكره، ولا ختمت إلا بشكره.
وما بين ذلك أجيبه بالدعا، وأباهي به بين الملا.
وإني لأذكر عهده، ومقامي عنده.
في ليال نجيل فيها للأنس قداحا، ونتهادى الأحاديث إن لم نتهاد أقداحا.
حتى تكون الألسنة بوصفها تغرى، وترتشف دجاها لمى وصبحها ثغرا.
فأشتم حظي في فراقه وأقذفه، وألوم دهري الخؤون وأعنفه.
وقد كان في حكم ما أولانيه من فضله المعروف، وإحسانه الذي استوعب صنوف الصنوف، أن يكون في كل وقت عنده كتاب، ولكن على الأيام وعواديها العتاب.
فلولا ما عرض، من مقابلة الجوهر بالعرض، لما أغفلت خدمة مولاي من رسائل أستجلب بها شرفا طارفا، كما استفدت في الفوز بخدمته الجليلة مفخرا سالفا.
ولا استحقيت سخطه الذي حره يذيب، ودونه التعذيب، بل النار والجحيم، والعذاب الأليم.
وأسأل الله تعالى أن يمن علي برضاه، حتى يكون سببا لإحراز دعاه.
وفيه الكوثر والتسنيم، والنعيم، المقيم.
وليس هو إلا الجنة، لكل نفس به مطمئنة.
وقلت في غرض اقتضاه الحال: جرى القلم، بما فيه ألم ألم.
وذلك أن بلوت شخصا من الكتاب، باقتضاء من قضاء منزل الكتاب.
فخالطته عن قلب سليم، وفارقته لا عن رضاء وتسليم.
لما رأيته يزعم أن العشرة محاسبة لا مناسبة، ومواربة لا مقاربة، وملاكمة لا مكارمة، ومحاملة لا مجاملة.
فالعطية معه خطية، والمنية هنية.
والعناية جناية، والسلامة ملامة.
يباعد فما يقارب، ويعاند فما يراقب.
تبلد طبعه، وتكدر نبعه.
فخاطره ينبو، وقلمه يكبو.
فيسهو ويبطي، ويسقط وهو يخطي.
بخط منحط، كأرجل البط على الشط.
وأنامل السرطان، إذا مشى على الحيطان.
وله قلم، ظفره لا يقلم.
ويراع، به الفكر يراع.

يخدش به القرطاس، وينقش الأنقاس، ويأخذ بالأنفاس.
وحزبه جماعة، أخذتهم حميا مجاعة.
ما فيهم إلا خبيث نفس، من قبيل البستان كله كرفس.
فوجوده بينهم فذلكة، للنوائب المهلكة.
فيا أبطأ من غراب نوح، وأخطأ من غيمة على بوح.
ما أغراك بما يغرك وأضراك بما يضرك.
أتظن أن ستترك سدى، أم لا تحاسب غدا.
كلا إن حسابك هين، وعقابك متعين.
وقلت، من تهنئة بنصول من مرض: بلغني شكايتك فارتعت، ثم عرفت ارتياحك فارتحت.
فالحمد لله الذي جعل عافيتك عاقبتك فيما تشكيت، وسلامتك التي ألبستك من الأجر لأمتك عوضا عما عاينت وعانيت.
فشفيت منذ شفيت الأجسام، وأقبلت نصرة الشفاء ففر الهم وتبعته الآلام، ولم يبق بحمد الله مريض إلا الجفون السقام.
ومن نظمي قولي من مقصورتي النبوية ومستهلها:

دع الهوى فآفة العقل الهوى ... ومن أطاعه من المجد هوى
وفي الغرام لذة لو سلمت ... من الهوان والملام والنوى
وأفضل النفوس نفس رغبت ... عن عرض الدنيا وفتنة الظبا
والعشق جهل والغرام فتنة ... وميت الأحياء مغرم الدمى
قالوا لنا الغرام حلية الحجى ... قلنا لهم بل حلية العقل التقى
وهل رأيتم في الورى أذل من ... معذب تلهو به أيدي الهوى
أو أحدا أغبن من متيم ... تقوده شهوته إلى الردى
وللغواني فتنة أشد من ... قتل النفوس والفتى من ارعوى
وما على ساجي الجفون راقد ... من دنف يبيت فاقد الكرى
ومن أعد للشتا كافاته ... فلا تريعه برودة الهوا
مظنة الجهل الصبا وإنما ... مفسدة المرء الشباب والغنى
والنفس ما علمتها فإن تجد ... ذا عفة فزهده من الريا
والناس إما ناسك بجهله ... أو عالم مفرط أو لا ولا
كأنهم أفيال شطرنج فلا ... يظاهر المرء أخاه في عنا
وإن خفيت بينهم عذرتهم ... فشدة الظهور تورث الخفا

منها:

وليلة بت أعد نجمها ... والدمع قاني الصبغ محلول الوكا
ولم يطل ليلي ولكن الجوى ... يعيد ليل الصيف من ليل الشتا
والشوق كالليل إذا الليل دجا ... والليل كالبحر إذا البحر طما
كأنما المريخ عين أرمد ... أو جمرة من تحت فحمة الدجى
كأنما السها أخو صبابة ... يكاد يخفيه السقام والضنى
كأنما سهيل راعي نعم ... أو فارس يقدم جيشا للوغى
كأنما الجوزاء عقد جوهر ... أو سبحة أو مبسم العذب اللمى
كأن منقض النجوم شرر ... تثيره الرياح من جمر الغضا
كأنما السحب ستور رفعت ... أو موج بحر أو شوامخ القلا
كأنما الرعد زئير ضيغم ... قد فقد الشبال أو صوت رحى
كأنما البرق حسام لاعب ... يديره في يده كيف يشا
كأنما القطر لآل نثرت ... على بساط سندس يوم جلا

منها:

كأنما الهم غريم مقسم ... أن لا يغيب لحظة عن الحشا
كأنما القلب مكلف بأن ... يحمل منه ما تحمل الورى
كأنما وجه البسيط شقة ... لا تنطوي ولا لحدها انتها
كأنني موكل بذرعها ... من قبل الخضر بأذرع الخطا
لا أستقر ساعة بمنزل ... إلا اقتضى أمر تجدد النوى

ولا تراني قط إلا راكبا ... في طلب المجد وتحصيل العلى
والحر لا يرضى الهوان صاحبا ... وليس دار الذل مسكن الفتى
والعقل في هذا الزمان آفة ... وربما يقتل أهله الذكا
وذو النهى معذب لأنه ... يريد أن ترى الأنام ما يرى
والناس حمقى ما ظفرت بينهم ... بعاقل في الرأي إن خطب دهى
وكلما ارتقى العلى سريهم ... كف عن الخيرات كفا وطوى
يهوى المديح عالما بنقده ... ودون نقده تناول السها
وإن طلبت حاجة وجدته ... كمشجب من حيث جئت فهولا
إن أوعدوا فالفعل قبل قولهم ... أو وعدوا فإنهم كالشعرا
والآن قد رغبت عن نوالهم ... وتبت من مديحهم قبل الهجا
لا ينبغي الشعر لذي فضيلة ... كيف وقد سدت مذاهب الرجا
وخابت الآمال إلا في الذي ... حماه ملجأ العفاة الضعفا
منها:
يا خير من يشفع في الحشر ومن ... أفلح قاصد لبابه التجا
كن لي شفيعا يوم لا مشفع ... سواك ينجي الخائفين من لظى
قد عظم الخوف لما جنيته ... والعفو عند الأكرمين يرتجى
وليس لي عذر سوى توكلي ... على الكثير عفوه لمن عصى
لولا الذنوب ضاع فيض جوده ... و لم يبن فضلك بين الشفعا
وها كها خريدة مقصورة ... على معاليك ومهرها الرضا
إن قبلت فيالها من نعمة ... وهل يخاف وارد البحر الظما
صلى عليك ذو الجلال كلما ... صلى عليك مخلص وسلما
وباكرت ذاك الضريح سحرة ... حوامل المزن يحثها الصبا
ما سل عضب الفجر من غمد الدجى ... وما سرى ركب الحجاز مدلجا
وهذه أرجوزة في الأمثال:
أحسن ما سارت به الأمثال ... حمد إله ماله مثال
فالحمد لله على إسدائه ... فضلا يكل النطق عن إحصائه
ثم الصلاة للنبي المحترم ... منبع أسرار العلوم والحكم
وآله وصحبه الكرام ... من فهموا مزية الكلام
ما تليت محاسن الألفاظ ... فشنفت مسامع الحفاظ
وهذه تحائف أهديها ... من حكم لمن وعى أبديها
سميتها براحة الأرواح ... جالبة السرور والأفراح
قالت لها الأمثال حزت السبقا ... إذ أنت في حفظ اللبيب أبقى
إن اللبيب يعرف المزايا ... وكم خبايا لحن في الزوايا
ورب جاهل لقد تعلما ... لا يأيسن نائم أن يغنما
من غنم الفرصة أدرك المنى ... ما فاز بالكرم سوى الذي جنى
الناس إخوان وشتى في الشيم ... وكلهم يجمعهم بيت الأدم
فالبعض منهم كالغذاء النافع ... والبعض كالسم الزعاف الناقع
وهكذا بعض الذوات روح ... والبعض منها في الحشا قروح
ورب شخص حسن في الخلق ... وهو أشد من شجى في الحلق
والدهر صراف له تصريف ... يروج فيه النقد والزيوف
لذاك ضاعت خلص الأحرار ... كضيعة المصباح في النهار
تعادل الفاضل والمفضول ... عر فنا الفضل من الفضول
والاعتدال في الأمور أعدل ... والمسلك الأوسط فيها أمثل
هي المنى مجلبة التعني ... كم عاشق أهله التجني
قد تحرم الآمال حيث الرغبه ... وتسقط الطير لأجل الحبه
المرء تواق إلى ما لم ينل ... وكل شيء أخطأ الأنف جلل

من كان يهوى منظرا بلا خبر ... فماله أوفق من عشق القمر
مضى الصبا فأين منه الوطر ... هيهات هيهات الجناب الأخضر
ميعاد دمعي ذكر أيام الصبا ... وجل شجوي عند هبة الصبا
مضى نشاطي إذ تولى الصحب ... ما أعلم الموت بمن أحب
صبرا على الهموم والأحزان ... فإن هذا خلق الزمان
ثق بالإله كم له صنع حفي ... وهو إذا حل البلا لطف خفي
خذ فرصة الإمكان في إبانه ... واسجد لقرد السوء في زمانه
إن فاتك الغدير فاقصد الوشل ... يرضى بعقد الأسر من أوفى الثلل
حد العفاف القنع بالكفاف ... ما ضاق عيش والإله كافي
من لم تكن أنت له نسيبا ... فلا تؤمل عنده نصيبا
والناس إن سألتهم فضل القرب ... حاولت أن تجني من الشوك العنب
هذا زمان الشح والإقتار ... مضى زمان الجود والإيثار
من كلف النفوس ضد طبعها ... أعيى بما لا يرتجى من نفعها
وإن من خص لئيما بندى ... كان كمن ربى لحتف أسدا
قد يبلغون رتبا في الدنيا ... لكنهم لا يبلغون العليا
إن المعالي صعبة المراقي ... من دونها الأرواح في التراقي
لا تستوي في الراحة الأنامل ... ورب مأمول علاه الآمل
قد تورد الأقدار ثم تصدر ... وتدبر الأقمار ثم تبدر
بالجود يرقى المرء مرقى الحمد ... إن السخاء سلم للمجد
وعوذ النعما من الزوال ... بكثرة الإحسان والنوال
يضوع عرف العرف عند الحر ... وإنه يضيع عند الغمر
وإنما المعروف والصنيعه ... تعرف عند أهلها وديعه
الرأي كل الرأي في ترك الكلف ... فقد مضى عليه سادات السلف
ومن تغر عقله السلامه ... تخدمه ألسنة الندامه
من لزم السلم من الحرب سلم ... ومن أبى إلا هوى النفس ندم
يأرج بالنسيم عرف الرند ... والقدح أصل في ثقوب الزند
لكل قلب في طلابه هوى ... وقس عليه الداء يحتاج الدوا
من طلب الدر بقعر البحر ... لم يخل من شرب الأجاج المر
دع في الأمور الحدس والظنونا ... لابد للمقدور أن يكونا
ما قيمة الآمال للقصاد ... والموت للإنسان بالمرصاد
إذا بقي من الجدى ما قانك ... فلا تكن تأسى على ما فاتك
رب اجتهاد دونه الجهاد ... في راحة من لا له مراد
ما ينفع التدبير والتقدير ... ينبض قوسه ولا توتير
قراقع ما تحتهن طائل ... إلا محاق العمر والغوائل
قد ذهبت مكارم الأخلاق ... إلا من الأمثال والأوراق
تغير الإخوان واختل الزمن ... فلا صديق غير صحة البدن
لا تكتمن داءك الطبيبا ... ولا الصديق سرك المحجوبا
هذا إذا كانا عسى وعلما ... وما أظن الدهر يسخو بهما
كفى عن المخبر منظر أطل ... في حمرة الخد غنا عن الخجل
منظر كل ماجد معياره ... إن الجواد عينه فراره
من سابق الجواد بالحمار ... جنت يداه ثمر العثار
قد تسعف الأقدار بالسعود ... فتلحق المحدود بالمجدود
كم قد نصبت للأماني مرمى ... مفوقا مني إليه سهما
فلم يكن لي عنده نصيب ... ما كل رامي غرض يصيب
والسعد إن ما كان حينا أبطا ... فلا تقل بأنه قد أخطا
إذ ربما قد عوقته الأقدار ... وكل شيء عنده مقدار

في يدك الحزن متى تشاء ... فاغنم سرورا تركه عناء
ما كل وقت مسعف بما يحب ... فإن يكن درت لبون فاحتلب
من يطلب الخلاص ناله الأسى ... وفي خطوب الناس للناس أسى
حب الثنا طبيعة الإنسان ... والشكر موقوف على الإحسان
الجود بالموجود عنوان الشرف ... ومن أضاف لم يبال بالسرف
من يتلقى الجود بالجحود ... عرض نعماه إلى الشرود
للود عقد ذمة لا تهمل ... وللرجاء حرمة لا تجهل
سالف ما كان من الحرمات ... يستوجب العفو عن الزلات
بالفحص عن خواطر الأحبه ... ينسج برد الود والمحبه
إن الرقيب يمنع التراضي ... كالخصم قد يرضى ويأبى القاضي
حتى متى أصبو ورأسي شمط ... أحسب أن الموت باسمي يغلط
ليس على فقد الحياة من ندم ... قد استوى الوجود فيها والعدم
كل نعيم فإلى فناء ... وكل عيش فإلى انقضاء
عليك يا هذا الفتى بالتوبة ... فانج بها قبل انتهاء النوبة
ومن نفثاتي قولي:
للقلب ما شاء الغرام ... والجسم حصته السقام
وإذا اختبرت وجدت مح ... نة من يحب هي الحمام
عجبا لقلبي لا يمل ... جوى ويؤلمه الملام
وأبيك هذي شيمتي ... من منذ أدركني الفطام
إني أغار على الهوى ... من أن تؤمله الأنام
وأروم من حدق الظبا ... نظرا به حتفي يرام
أفدي الذي منه يغا ... ر إذا بدا البدر التمام
فعلت بنا أحداقه ... ما ليس تفعله المدام
إن شط عنك خياله ... فعلى حشاشتك السلام
أأخي من يك عاشقا ... فعلى م يجفوه المرام
إني بليت بمحنة ... هانت بها النوب العظام
حتى لقد عميت علي ... مسالكي ودجا القتام
صاحبت ذلي بعد أن ... قد كان تفخر بي الكرام
والمرء يصعب جهده ... ويلين صعدته الصرام
لا تتهمن تذللي ... فالتبر معدنه الرغام
وإذا جفاني من هوي ... ت صبرت حتى لا أضام
فعبوس أردية الحيا ... عقباه للروض ابتسام
ولئن وهت لي عزمة ... فلربما صدي الحسام
فعسى الذي أبلى يعي ... ن وينقضي هذا الخصام
وقولي:
بأبي وإن كان الأبي صميدحا ... خلقت يداه للشجاعة والندى
ملك كريم كالنسيم لطافة ... فإذا دجا خطب قسا وتمردا
راجعته في أزمة فكأنما ... جردت منه على الزمان مهندا
كالبحر ينعم بالجواهر ساكنا ... كرما ويأتي بالعجائب مزبدا
والهام تسجد خشية من سيفه ... لما أبت أربابها أن تسجدا
لا تعجبوا إن لم يسل منهم دم ... فالخوف قد أفنى النفوس وجمدا
وقولي:
مذ قعقعت عمد للحي وانتجعت ... كرام قطانه لم ألق من سند
مضى الألى كنت أخشى أن يلم بهم ... ريب الزمان فلا أخشى على أحد
فأفرخ الروع أن شالت نعامتهم ... وأفسد الدهر منهم بيضة البلد
ومن المقطعات قولي:

وشادن قيد العقول وجهه ... وصدغه سلسلة الآراء
شامته حبة قلب مذ بدت ... جنت بها الأحشاء بالسوداء
وقولي:
لا بدع أن شاع في البرايا ... تهتكي في الرشا الربيب
عشقي عجيب فكيف يخفى ... وحسنه أعجب العجيب
وقولي:
بي من إن عاينته مقلتي ... ينمحي جسمي ويفنى طربا
أي شيء راعه حتى انثنى ... هاربا مني وولى مغضبا
وقولي معميا باسم أحمد:
وارحتما لمعذب قلق الحشا ... بهمومه قد بان عنه شبابه
دم قلبه ما ساقطته جفونه ... يوم النوى لما نأت أحبابه
وقولي:
وليس سقوط الثريا إلى ... نداء الموالي من المنكرات
فإن الشموس إذا أسفرت ... فلا حظ للأنجم النيرات
وقولي من الرباعي:
قد قلت لسحر طرفه إذ نفثا ... من شاهد إذا في أهله ما لبثا
إذ يكسر جفنيه لكي يعبث بي ... سبحانك ما خلقت هذا عبثا
وقولي:
لله صب مدح معشوقه ... ديدنه متبع نهجه
يفرح إن وافاه في محفل ... كمذنب قامت له حجه
وقولي في دعوة ماجد:
بيتي وكلي ملك من يده ... فوق الأيادي دأبها المنح
فإذا انتدبت لأمر دعوته ... قالوا طفيلي ويقترح
وقولي:
قد جئت دارك زائرا بهجا ... يا من به قد أشرق النادي
رجلي إليك مطيتي ولها ... قلبي دليل والثنا حادي
وقولي:
للروض روا طلق المحيا نضر ... لو تم بكم كما رجونا وطر
فالورد إلى الطريق أصغى أذنا ... والنرجس عينه غدت تنتظر
وقولي:
مضى الألى برائق الشعر وما ... أبقوا لنا في كأسنا إلا العكر
تمتعوا بحشو لوزينجهم ... وقد حرمنا نحن من حشو الأكر
وقولي:
وظبي أفكر في تيهه ... فلا يحظر الوصل في خاطري
حباني مجرد وعد له ... كليلي عليه بلا آخر
وقولي:
إذا النسيم جرر ذيله على ... ساحة روض فتحت أزهاره
فنشره من الثناء نفحة ... يثنى على المزن بها نواره
وقولي:
جاء الربيع الطلق فانهض محرزا ... صفو نعيم حقه أن يحرزا
وانظر بساطا من نسيج نبته ... منبتا بوشيه مطرزا
وقولي:
إن يكن قطر من ريقه ... ماء ورد لحياة الأنفس
فلقد أبدى لنا من وجهه ... عرق الفتنة عطر النفس
عطر الفتنة: من العطريات المجلوبات من الهند.

وقولي :
وشادن أزهى من الطاووس ... في عشقه منية النفوس
أبدى لنا من الثنايا فمه ... سينا عسى تكون للتنفيس
وقولي:
ألا لا تخش من صفع ... ولا يأخذك إيحاش
تنل شاشا بعشرتنا ... فشاش قلبه شاش
وقولي:
كم حيلة أعملتها فلم تفد ... لكن دعتني للهدو والرضا
إذا مطايا العزم أخلت برهة ... سلم زمامها إلى يد القضا
وقولي:
كانت بقلبي غلة ... حراء للرشاء الممنع
حتى دنوت لثغره ... فرشفته والرشف أنقع
الرشف أنقع: مثل، أي أن الشراب الذي يرتشف قليلا قليلا أقطع للعطش وأنجع، وإن كان فيه بطء.
وقولي:
من صفوة الخلق مليح وجهه ... جامع حسن متقن الصناعه
قد خط محرابان في قبلته ... لما اقتضته كثرة الجماعه
وقولي:
في الروض جرى زلال ماء ... عن أحسن منظر يشف
أحداق لجينه عليها ... أهداب زبرجد ترف
وقولي:
من كان مذكورا بعشق الظبا ... بلا خلاف للنهى حالفا
ومن يكن خالف في أمره ... فغير مذكور وإن خالفا
وقولي:
كم شدة حملت ثقل خطوبها ... ليست لمحملها الجبال تطيق
ما كنت أضبط للزمان نوائبا ... أيعد أمواج البحار غريق
وقولي:
وإذا قصدت حماك يدعوني إلى ... ساحات نائله النعيم المخضل
أمشي بقلبي لا برجلي إنما ... تمشي بحيث هوى القلوب الأرجل
وقولي في تهنئة بدار لماجد:
مولاي يهنيك ما أثرت من أثر ... أعطاك ربك فيه غاية الأمل
بنيت دنياك في دار جمعت بها ... كل الخلائق من علياك في رجل
وقولي:
وكم لي من روض فضل لقد ... تفيأت فيه ظلال الكرم
تعرفته بثناء الندى ... وعرفته بنسيم النعم
نسيم النعم:هو الشكر. وهو من مبتدعات البحتري، وكان الصاحب يستحسنه.
وقولي:
غنيت وقد شاهدت أحسن منظر ... من الروض عما يصطفيه جنان
فأزهاره وشي وسلسل مائه ... سلاف كؤوس والطيور قيان
وقولي:
ثقيل روح أنكروا وطأه ... نرجس روض حف بالسوسن
فقلت غضوا الطرف عن وضعه ... فإنه يمشي على الأعين
وقولي:
شعري إذا أبديته لعصابة ... تلقاهم لنشيده لا يحسنوا
كالعطر تجلبه لأنطاكية ... فتراه يفسد ريحه بل ينتن
ذكر هذا الثعالبي، في الباب السادس والأربعين، من ثمرات القلوب، عند ذكر نعمة المدينة، ونص عبارته نقلا عن الجاحظ: " ورأيت بلدة يستحيل فيها العطر ويفسد، وتفسد رائحته، كقصبة الأهواز وأنطاكية " .

وقولي:
أنعم صباحا في ظلال روضة ... تدعو إلى النشوة حسنا وبها
لما غفا فيها النبات سحرة ... دغدغه نسيمها فانتبها
وقولي:
أهوى تباعده والفكر يدنيه ... ضدان ما جمعا إلا لتمويه
فما تقربه مني محاسنه ... ولا تبعده عني مساويه
وقولي:
نفر في الدين مذ عبثوا ... بعدوا عن خيره الزاهي
فهم ما بين أظهرنا ... فضض من لعنة الله
روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها، أنها قالت لمروان: " أنت فضض من لعنة الله " .
وقولي:
أرى جسمي تحط به البلايا ... وما شارفت معترك المنايا
فإن أبقاني المولى فأرجو ... بقايا منه في عمري نقايا
معترك المنايا: هو ما بين الستين إلى السبعين، من سني أعمار الناس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أكثر أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين " .
ومن مفرداتي:
ما كل دار آنست دار الحمى ... أو كل بيضاء الطلى أسماء
وقولي:
ولي ألف وجه في مخالطة الورى ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
وقولي:
وليس عجيبا ما بجسمي من الضنى ... ولكن حياتي يا ابنة القوم أعجب
وقولي:
إن الكرام إذا اختشوا ند العلى ... جعلوا لها سمط القريض قيودا
وقولي:
وما الدهر من أصله فاسد ... ولكن فساد الورى أفسده
وقولي:
قل للذي همه الفخار ... من دون ذا ينفق الحمار
وقولي:
إذا تناءت قلوب ... لا كان قرب ديار
وقولي:
ما خص ذو الجهل الدني برتبة ... إلا كما خص الختام بخنصر
وقولي:
نعيم المرء ثوب مستعار ... وفي الماضي لمن يبقى اعتبار
وقولي:
من رام من حساده نصرة ... كان كمن في النار يطفي الأوار
وقولي:
محصول ودك في رضاك محصل ... شرح القصائد في الوجوه ملخص
وقولي:
غصص الحياة كثيرة ولقد ... تنسي الحوادث بعضها بعضا
وقولي:
إن زاحمتك نوائب ... زاحم بعود أو دع
وقولي:
عين أصابت شملنا لا رأت ... شملا على طول المدامع يجمع
وقولي:
كلامه في وعيدي ليس يجرحني ... إن الوعيد سلاح العاجز الحمق
وقولي:

لك الود والإخلاص من قلب صادق ... وأبعد ما حاولت قلب الحقائق
وقولي:
صدقوا ولكن لست ممن يقبل ... ليس المخاطب في الورى من يعقل
وقولي:
ومن لم يشكر النعماء يوما ... وأنكرها فقد رضي الزوالا
وقولي:
ولا خير فيمن غير البعد قلبه ... ولا في وداد غيرته العوامل
وقولي:
لا شيء أجرى لدموع عاشق ... من فرقة الأحباب والمنازل
وقولي:
مطلتني ثم أدعيت السخا ... والمطل مولود من البخل
وقولي:
أنا والمنية في وجل ... من سحر هاتيك المقل
وقولي:
إذا لم أذق غير هجر الظبا ... فمن أين أعرف طعم الوصال
وقولي:
كنت مستأنسا إلى كل شخص ... فأنا الآن نافر من خيالي
وقولي:
بين اللواحظ والمتون ذمام ... سبب لأن تفنى به الأجسام
وقولي:
كل نار غير نار ال ... عشق برد وسلام
وقولي:
الشيء يظهر في الوجود بضده ... لولا الضرورة ما استبان المنعم
وقولي:
تكتم المغرم لا يمكن ... وسلوة العاشق لا تحسن
وقولي:
ما كل ما تحذر بالكائن ... قد ينزل المكروه بالآمن
وقولي:
لا عذب الله متيما بما ... لقيته من كثرة التجني
وقولي:
إن الرجال لهم وسائل للمنى ... ووسيلتي حب النبي وآله
وقولي:
إن تكن صحبتي تنفيت عنها ... أي أحدوثة تحب فكنها
وقولي:
بالصبر يرقى المرء أوج العلى ... إن التأني درج للرقا
وهنا جف القلم، وقد أدى ما عليه فلم يلم.
وقد رأيت أن أختم الكتاب بهذين البيتين، وأنا مستشفع في إصلاح أحوالي بصاحب القبلتين.
وهما:
لئن ضاقت بي الأيام ذرعا
خلصت من الأماني في حياتي